# إشكالية اندماج يهود روسيا الاجتماعي في إسرائيل

## دراسة في ظاهرة الانحلال الأخلاقي من خلال الرواية العبرية المعاصرة

# The Dilemma of the Social Integration of Russian Jews in Israel

## A Study in the Phenomenon of Moral Degeneration in the Contemporary Hebrew Novel

**شريف محمود حامد محمود شلتوت**

**مدرس مساعد بكلية الآداب – جامعة حلوان**

**sheriff_hamid@arts.helwan.edu.eg**

**إصدار يوليو لسنة ٢٠٢١**

**شعبة الدراسات العبرية**

## مقدمة:

يعد مصطلح «المهاجرين الروس» أو ما يمكن أن نطلق عليهم «يهود روسيا» أحد المصطلحات الرائجة التي تمَّ إطلاقها على اليهود الذين عاشوا في روسيا القيصرية (١٥٤٧ – ١٧٢١)، التي ورثتها الإمبراطورية الروسية (١٧٢١ – ١٩١٧)، ثم أصبحت تُعرف بعد الثورة البلشفية عام ١٩١٧ باسم الاتحاد السُّوفيتي (١٩٢٢ – ١٩٩١) الذي تفكَّك مؤخرًا إلى دولٍ كثيرة. ويرتبط ظهور هذا المصطلح بموجات هجرة يهود روسيا إلى إسرائيل في سبعينيات وتسعينيات القرن العشرين. وقد رافقت هذه الهجرة مشكلات استيعاب جَمَّة أدَّت إلى انحراف الكثير من أفراد الطائفة الروسية عن المسار الأخلاقي الصحيح.

تعتبر ظاهرة الانحلال الأخلاقي للمهاجرين الروس من أبرز الظواهر التي تكمن خطورتها في أنها تُلقي بظلالها على الأمن والاستقرار في المجتمع الإسرائيلي، بل يمكن القول بأنهم أسهموا بشكلٍ كبير في أن تصبح تلك الظاهرة سمة رئيسة من سمات هذا المجتمع، لا سيما عندما يتم اتِّهامهم من قبل اليهود الآخرين في إسرائيل "بجلبهم ظواهر، وآفات، وأمراض جديدة على التجمّع الصهيوني لم تكن منتشرة فيه من قبل، مثل الجريمة المنظّمة، ودخول عصابات المافيا الدولية، والدَّعارة، وتجارة الرقيق الأبيض، والإدمان على الكحول، وتزييف الأموال.. ولخَّص أحد كتَّاب صحيفة «يديعوت أحرونوت»، وجود المهاجرين الروس في الكيان الصهيوني بالكلمات التالية: «الدَّعارة، والجاسوسية، والجريمة»"[1]؛ مما يشير إلى أن المجتمع الإسرائيلي يعتبر أن

[1]- خالد سعيد: المهاجرون الروس قادمون.. إسرائيل إلى أين؟!، مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية، بيروت، ٢٠١٤، ص ٢٢٨-٢٢٩.

استيطان هؤلاء المهاجرين قد ساعد على انتشار كل مظاهر الانحطاط والفساد الأخلاقي من جريمة وإدمان في هذا المجتمع؛ ولذا تحول اليهود الروس إلى رمزٍ للجريمة في إسرائيل؛ ومن ثمَّ يتقاطع هذا مع تجربة اندماج يهود المغرب في المجتمع الإسرائيلي، الذين أصبحوا رمزًا للجريمة في الستينيات من القرن العشرين، حيث كان المهاجر اليهودي المغربي يُسمى من قبل الإشكنازيين بـ «**מרוקו סכין** – مغربي أبو سكين» أو «مغربي مجرم»[١]، وهو نمط من التهكم والسخرية يشبه إلى حدٍ كبير استعمال أسماء «**בוריס** – بوريس» و«**איגור** – إيجور» في العبرية العامية لوصف اليهود الروس.[٢] وكأنما نحن أمام مسار إجباري يجب على المهاجرين الجدد السير فيه ليصبحوا «مواطنين إسرائيليين».

ونظرًا لعدم وجود دراسة مستقلة تتناول مشكلات اندماج يهود روسيا الاجتماعية بصفةٍ عامة، وظاهرة الانحلال الأخلاقي بصفةٍ خاصة، في المجتمع الإسرائيلي في مجال الرواية العبرية المعاصرة؛ فقد عُنِيت هذه الدراسة بتلك الإشكالية. ووقع الاختيار على روايتين عبريتين لأديبتين يهوديتين من أصلٍ روسي، هما: رواية «**ויקטור ומאשה** – ڤيكتور وماشا» (٢٠١٢)، للأديبة «أَلونا كِيمحي – **אלונה קמחי**»[٣]،

---

[١]- يُنظر: أحمد الشحات هيكل: يهود المغرب تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد ٣٥، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٣١-١٣٢.

[٢]- לעיין: העדכון החצי שנתי של קללות וסלנג, ynet, (5/9/2002):
https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-2066534,00.html

[٣]- أَلونا كِيمحي: ممثلة، وكاتبة أغاني، وأديبة إسرائيلية. وُلدت في لڤوڤ (أوكرانيا) عام ١٩٦٦، وهاجرت مع والدتها إلى إسرائيل عام ١٩٧٢، وخدمت بالجيش الإسرائيلي في وحدة "ناحال"، ودرست في مدرسة "بيت تسڤي" للفنون المسرحية، وهي تعيش حاليًا في "تل أبيب"، ومتزوجة من المطرب والملحن "يزهار أشدوت"، وأنجبت منه ابنًا واحدًا. وفي عام ١٩٩٣ بدأت في كتابة المسرحيات، وكلمات الأغاني، والمقالات الصحفية. وحصلت روايتها الأولى "סוזנה הבוכיה – سوزانا الباكية" (١٩٩٩) على جائزة "برنشتاين" للأدب، ومن أعمالها الأدبية أيضًا: المجموعة القصصية "אני אנסטסיה - أنا أناستاسيا" (١٩٩٦)، وكتاب الأطفال "מושלמת והמעגל המכושף - الكمال والدائرة المسحورة" (٢٠٠١)، والميلودراما "לילי לה טיגרס - ليلي لا تيجريس" (٢٠٠٤)، وقد تُرجمت أعمالهما إلى العديد من اللغات.

التي رصدت مشكلات اجتماعية عديدة قد واجهها اليهود الذين هاجروا من روسيا إبَّان موجة السبعينيات من القرن العشرين، ورواية «**קהילת האבודים** – جماعة الضائعين» (٢٠١٤)، للأديبة «أُولا جرويسمان – **אולה גרויסמן**»[١]، التي تناولت أوضاع اليهود الروسيين – وخاصةً الشباب منهم – المهاجرين في موجتي السبعينيات والتسعينيات، كما عكست معاناتهم من مشكلات الهجرة وصعوبات الاندماج في المجتمع الإسرائيلي.

تهدف الدراسة إلى إماطة اللثام عن إحدى الظواهر السلبية المعبِّرة عن معوقات اندماج المهاجرين الروس في المجتمع الإسرائيلي، وهي ظاهرة انحلال هؤلاء المهاجرين الأخلاقي وتأثيره في المجتمع ذاته، فضلاً عن كيفية معالجة النموذجين الروائيين – اللذين تستند عليهما الدراسة – لما تتضمنه ظاهرة الانحلال من جرائم يقترفها الروس داخل هذا الكيان. وتستعين الدراسة بالمنهج التحليلي النقدي، الذي يشتمل على تحليل وتفسير مضامين الروايتين – اللتين وقع الاختيار عليهما – لإبراز الجوانب المتعلقة بتلك القضية ومعالجتها.

## أولاً: اقتراف يهود روسيا للجرائم في إسرائيل:

---

לעיין: גולדשלגר, יוסף גלרון: אלונה קמחי, לקסיקון הספרות העברית החדשה, (30/11/2018):
https://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/00225.php

[١]- أُولا (أُولجا) جرويسمان: أديبة إسرائيلية. وُلدت في موسكو (روسيا) عام ١٩٦٥، وهاجرت إلى إسرائيل في طفولتها عام ١٩٧٢، ودرست في جامعة حيفا، وهي أم لطفلين، وتعمل في الرسم والعلاج بالفن، وتعيش حاليًا مع عائلتها في كامبريدج (إنجلترا)، وصُدرت روايتها الأولى "מזוודה על השלג – حقيبة على الثلج" عام ٢٠٠٩.
לעיין: גולדשלגר, יוסף גלרון: אולה גרויסמן, לקסיקון הספרות העברית החדשה, (6/1/2019):
https://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/01828.php
Mendelson-Maoz, Adia: Multiculturalism in Israel, Literary Perspectives, Purdue University Press, Indiana, 2014, p. 214.

إن الجريمة هي واحد من مظاهر الانحراف عن السلوك الأخلاقي الصحيح للإنسان، وهي كل فعل غير مشروع يهدِّد أمن وسلامة الأفراد والمجتمعات؛ "ومن ثَمَّ ظهرت الشرائع – سماوية أو وضعية على حدّ سواء، قديمها وحديثها – لتنظيم الحياة، ومواجهة الجريمة، وتحديد وضبط سلوك الفرد بشكل يلزمه بالقوانين، ويتعقبه إذا ما تجاوز حدًّا من حدودها"[١]، وقد كشفت الرواية العبرية المعاصرة – محل الدراسة – عن تورط يهود روسيا في ارتكاب العديد من الجرائم داخل إسرائيل، نستعرض منها ما يلي:

**(أ) ارتكاب يهود روسيا للزِّنا:**

يعتبر الزِّنا من أكثر الفواحش التي حَرَّمها الله تعالى، لما يُسبِّبه من أضرارٍ خطيرة على الفرد والمجتمع، وقد أصبح عادة اجتماعية منتشرة في روسيا، بل بِغاءً تمتهنه بعض النساء الروسيات، بمن فيهن اليهوديات، كوسيلة لكسب الرزق؛ إذ يذكر عالم الاجتماع الأذربيجاني الأمريكي «إيليا زيمتسوف» (١٩٣٨ – ) قائلاً: "البِغاء هي مهنة ادَّعت السلطات السوفيتية لفترةٍ طويلة أنها لم تعد موجودة في الاتحاد السوفيتي. وكما هو الحال في كل مكان آخر، كان البِغاء موجودًا دائمًا في روسيا"[٢]، كما يذكر الدكتور عبد الوهاب المسيري أنه "في الفترة بين عامي ١٨٨٠ و١٩٣٠، عمل عدد كبير من اليهود في تجارة الرقيق الأبيض قوَّادين وعاهرات، وأصبحت «منطقة الاستيطان» في روسيا، خصوصًا جاليسيا، أهم مصدر للعاهرات في العالم بأسره، وامتدت شبكة الرقيق الأبيض اليهودية من شرق أوروبا إلى وسطها وغربها"[٣]،

---

[١]- خالد مصطفى هشام: الجريمة، دراسة مقارنة بين الشريعتين اليهودية والإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن – فرجينيا، ٢٠٠٧، ص ١٣.

[2] -Zemtsov, Ilya: Encyclopedia of Soviet life, Transaction Publishers, New Brunswick, 1991, p. 253.

[٣]- عبد الوهاب المسيري: اليد الخفية، دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية، ط٢، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٧٣.

ويأتي هذا رغم تحريم أحكام الشريعة اليهودية للزِّنا بكل أشكاله "سواء كان فعل الزِّنا مع إمرأة متزوجة، أو مع فتاة لم تتزوج."[١]

وقد زاد انتشار الزِّنا في المجتمع الإسرائيلي مع هجرة اليهود من روسيا، ولجوء بعض النساء منهم إلى الانخراط في مهنة البِغاء؛ وهو ما أدى إلى وصف كل النساء الروسيات من قبل الإسرائيليين الآخرين على أنهن عاهرات؛ "ففي بداية القرن الحادي والعشرين، عندما اِضْطُرَّت النساء المهاجرات من دول الاتحاد السوفيتي إلى بيع خدمات جنسية، وتمَّ الاتِّجار بهن في الرقيق الأبيض، كان يُعتقد على نطاقٍ واسع أن «الروسيات» جميعهن «عاهرات»"[٢]. ومع ذلك نرى أن للمجتمع الإسرائيلي ذاته دور رئيس في تكريس الصورة النمطية السلبية للمجتمع الروسي، وأنه منبع الجريمة والدَّعارة، وتعميمها على كل اليهود الروس؛ إذ يصر الإسرائيليون على التعامل مع المهاجرين الروس الجدد من هذا المنطلق، ويحصرونهم في هذه الزاوية الضيقة، وهي أيديولوجية تتبعها المؤسسات الإسرائيلية لترويض المهاجرين الجدد اجتماعيًا، وتدجينهم سياسيًا، وسحقهم ثقافيًا.

كان لانتشار ظاهرة الزِّنا بين يهود روسيا في إسرائيل تأثير كبير في الرواية العبرية المعاصرة، كما في رواية «ڤيكتور وماشا» التي أشارت إلى اقتراف الفتاة الروسية «ماشا» علاقة جنسية محرَّمة مع رجلين: أولهما: اسكُتلندي بساقٍ مكسورة يُدعى «أَلِيسْتِير»، وثانيهما: جندي من أصل روسي ويُدعى «ڤاديك كراسْنير»:

**"בחדרו של ואדיק היא התיישבה לצדו על מיטה צרה.. אחזה בראשו החמים והעגול של ואדיק ונשקה לו על שפתיו. הוא נענה לה ברכות מפתיעה, אבל אז ניתק ממנה, אסף את האלבומים והחזיר אותם למדף**

---

[١]- رشاد عبد الله الشامي: الوصايا العشر في اليهودية، دراسة مقارنة في المسيحية والإسلام، دار الزهراء، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٢٣٥.

[٢]- קמיר, אורית: כבוד אדם וחוה, פמיניזם ישראלי, משפטי וחברתי, הדפסה שניה, הוצאת כרמל, ירושלים, 2008, עמ' 154.

**שממנו לקח אותם. אחר כך כיבה את האור ופשט את בגדיו. הוא הידק את חיבוקו והיא הרגישה איך ידו משתחלת אל מתחת לחולצה שלה ומגששת אחרי קרסי החזייה. הראשון ששכבה אתו היה אליסטֶר.. והיא זכרה איך אמר לה, «הזדיינת פעם עם סקוטי עם רגל שבורה?» והיא אמרה, «הזדיינת פעם עם בתולה סובייטית?»"**[1]

"جَلَسَتْ في غُرْفَةِ قْاديك بِجَانِبِهِ على سَرِيرٍ ضَيِّقٍ.. أَمْسَكَتْ رَأْسَهُ الدَّافِئَ والمُسْتَدِيرَ، وقَبَّلَتْهُ على شَفَتَيْهِ. فاِسْتَجَابَ لها بِلُطْفٍ مُفَاجِئٍ، لكن حينها اِنْفَصَلَ عنها، وَجَمَعَ الأَلْبُومَاتِ، وأَعَادَهَا إلى الرَّفِّ الذي أَخَذَهَا منه. ثم أَطْفَأَ النُّورَ، وخَلَعَ مَلَابِسَهُ. شَدَّ عِنَاقَهُ، وشَعَرَتْ بِالطَّرِيقَةِ التي تَمْتَدُّ بها يَدُهُ إلى تَحْتِ قَمِيصِها، وتَتَلَمَّسُ خَطَاطِيفَ حَمَّالَةِ صَدْرِهَا. كان أَلِيسْتِير أَوَّلَ من نَامَتْ معه.. وتَذَكَّرَتْ كَيْفَ قَالَ لها: «هل سَبَقَ لَكِ أَنْ ضَاجَعْتِ اِسْكُتْلَنْدِيًّا بِسَاقٍ مَكْسُورَةٍ؟» فَرَدَّتْ: «وهل سَبَقَ أَنْ ضَاجَعْتَ عَذْرَاءً سُوفْيِتِيَّةً؟»"

تكشف هذه الفقرة عن مدى الانحلال الأخلاقي الذي يتَّصف به الكثير من يهود روسيا في إسرائيل، وخاصةً الفتيات منهم؛ إذ تبدو «ماشا» هنا غير ملتزمة بأي قواعد أو أعراف أخلاقية واجتماعية تُحجِمها عن ممارسة هذا الزِّنا الفاحش منذ أن فقدت عذريتها مع «أَلِيسْتِير» وحتى بعد هجرة جدتها «كاترين» – التي جاءت بغرض أن تعتني بها وبشقيقها «ڤيكتور» عقب وفاة والديهما في إسرائيل بثلاثة أعوام – وهو الأمر الذي تناهى إلى مرأى ومسمع من المستوطنين المحيطين بها؛ فقد قامت إحدى الأختين اللتان هاجرتا من «مينسك» بإبلاغ «كاترين» بما ترتكبه حفيدتها من سلوكيات إباحية مع العديد من الشباب، مُسدية إليها نصيحة بأنه من المهم أن تحافظ الفتاة في سنها على سمعتها:

[1]- קמחי, אלונה: ויקטור ומאשה, הוצאת כתר ספרים, ירושלים, 2012, עמ' 226.

"המינצ'נקית המבוגרת פתחה, «באמת אני רואה פה את מאשה מסתובבת הרבה עם כל מיני חבר'ה. לא מהסוג שלומדים. מין פושטקים. גרוזינים, קווקזים, ואדיק החייל, חגאן הבוכרי. אמרו שראו אותה מטיילת לבד עם חמישה גברים מסביב. חשוב להגיד לה שתיזהר.. חשוב לבחורה בגילה שתשמור על השם שלה.»"[1]

"بَدَأَتْ المِينْسِكِيَّةُ الأَكْبَرُ سِنًّا بِالكَلَام: «أَرَى حَقًّا ماشا تَتَسَكَّعُ كَثِيرًا مع كُلِّ أَنْوَاعِ الشَّبَابِ هنا. إِنَّهُمْ لَيْسُوا من النَّوْعِ الذين يَحْصُلُونَ على التَّعْلِيم. بَلْ نَوْعٍ من الأَشْقِيَاء. چُورْچِيُّونَ، وقَوْقَازِيُّونَ، والجُنْدِيُّ ڤاديك، وحَجَّانِ البُخَارِيّ. قَالُوا إِنَّهُم رَأَوْهَا وهي تُسَافِرُ وَحْدَهَا مع خَمْسَةِ رِجَالٍ حَوْلَهَا. من المُهِمِّ أَنْ تُخْبِرِيهَا بِأَنْ تَكُونَ حَذِرَةً.. من المُهِمِّ أَنْ تُحَافِظَ الفَتَاةُ في سِنِّهَا على سُمْعَتِهَا.»"

يعكس هذا المشهد نموذجًا للفتاة الروسية التي سقطت في بحر الرَّذيلة؛ نتيجة غياب التربية الأسرية القويمة أو ضعفها، حتى أنها صارت لا تبالي بسمعتها التي تتلطَّخ بالعار وسط اليهود الآخرين في المستوطنة. ولكن عند النظر في واقع المجتمع الإسرائيلي نجد أن معظمه يميل إلى ارتكاب الزِّنا؛ لأن الثقافة الغربية المتحرِّرة هي الثقافة المهيمنة على هذا المجتمع؛ لذا فإن من الطبيعي وجود علاقة بين الرجل والمرأة خارج إطار الزواج، وفي هذا الإطار "وَصفَ وزير التعليم السابق «أمنون روبينشتاين» (١٩٣١- ) المجتمع الإسرائيلي بأنه من أكثر المجتمعات إباحيةً، وأشار إلى شارع ديزنجوف (أحد الشوارع الكبرى في تَلّ أَبِيب) باعتباره «زُبالة ديزنجوف»"[2]، بل تمتد الإباحية لتشمل «تَلّ أَبِيب» بأكملها؛ فقد "أضحت المدينة ذات سمعة عالمية في الحرية المطلقة في ممارسة الفسق والفجور لدرجة أنها صارت

---

[1]- קמחי, אלונה : שם, עמ' 294.

[2]- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، المجلد الخامس، اليهودية، المفاهيم والفرق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢٥١.

وجهة للأجانب الباحثين عن ملذاتهم"[١]، فضلاً عن الكيبوتس، الذي تعتبر فيه مظاهر "الإباحية، والتحرُّر من الأخلاق والفضيلة، وممارسة الرَّذيلة أمرًا طبيعيًا"[٢]. ضِف إلى ذلك ما تتضمنه نصوص التوراة من صرخات أنبياء بني إسرائيل محذِّرين من انتشار الانحلال الأخلاقي والعقدي بين بني إسرائيل[٣]؛ الأمر الذي يدل على أن المجتمع الإسرائيلي ما هو إلا مجتمع يتأصَّل فيه الانحلال الأخلاقي والديني قديمًا وحديثًا؛ ومن ثمَّ يتقبَّل وجود مثل هذه العلاقات حتى لو كانت مخالفة لليهودية.

تؤكد أيضًا رواية «جماعة الضائعين» على أن ممارسة الرَّذيلة والإباحية صارت ملازمة للعديد من الفتيات الروسيات في إسرائيل، مثل «عَنات ليڤينسون» التي انتقلت للعيش مع «عيدُّو» الصبَّاري – عقب وفاة أمها بمرض السرطان – في الشقة التي استأجرها أبوها لها في «رَمات أڤيڤ»، ولا غرابة في أنها كانت تعيش معه دون زواج رسمي بموافقة أبيها ذاته، ومع مرور الوقت بدأت تشعر بالانزعاج من «عيدُّو»، وشرعت في ممارسة الزِّنا مع رجال آخرين – معظمهم من أصلٍ روسي – تعرفت عليهم أثناء عملها في العلاقات العامة بالمسرح تحت رئاسة «ياعيل باراك»، ومن هؤلاء ممثِّل مسرحي يدُعى «أَلِيكْس شتاين»، وأديب لم يُذكر اسمه:

**"כשאלכס נהפך לפתע למאהב, היא כבר היתה שקועה עד מעל לראש בבגידות בעידו. הבגידה הפכה לטבע שני עבורה, ואף על פי ששנאה את עצמה על כך, לא מצאה כוחות להפסיק. זה היה כמו להיכנס למקדונלד'ס ולהזמין המבורגר כפול עם צ'יפס וקולה. היא היתה**

---

[١]- عبده رمضان كامل: "صورة مدينة تل أبيب وعلاقتها بالموروث اليهودي، دراسة في رواية «مدينة سدوم» لـ «تومير جانيهار»"، مجلة الدراسات الشرقية، العدد السابع والخمسون، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، يوليو ٢٠١٦، ص ٣٣٠.

[٢]- أحمد كامل راوي: "تجربة الكيبوتس لدى اليهودي الشرقي في رواية «ديك الفداء» لإيلي عامير"، مجلة الدراسات الشرقية، العدد التاسع والعشرون، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة، يوليو ٢٠٠٢، ص ٢٧٠.

[٣]- يُنظر: محمد خليفة حسن أحمد: ظاهرة النبوّة الإسرائيلية، طبيعتها - تاريخها - الموقف الإسلامي منها، سلسلة الدراسات الدينية، العدد ١، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٩١، ص ١٠٣-١٠٤.

מתענגת על כל ביס, אך אחרי שהכול נגמר נשארה תמיד מבוישת ולא מסופקת. בגידתה הראשונה היתה עם שחקן עלום שם שנכנס יום אחד למשרדה לאחר אודישן לא מוצלח להצגה החדשה. זה היה בשבוע הראשון שלה בתיאטרון וכל שחקן עדיין עשה עליה רושם. היא מצאה את עצמה מתנשקת איתו בחניה, נשיקה שגררה כמה פגישות קצרות נשימה וסקס מהיר, שהשאיר אחריו הרגשה דומה לזו של אכילת המבורגר במקדונלד'ס.. אחר כך פגשה סופר רוסי שיעל הפקידה בידה לארחו. היא בילתה במיטתו במלון שעמד על רחוב אלנבי במשך כשבוע, עד שחזר למוסקבה והשאיר לה ספר שירה ברוסית עם הקדשה: «אזכרך לנצח.»"[1]

"عندما أَصْبَحَ أَلِيكْس عَشِيقًا فَجْأَةً، كانت قد غَرِقَت بِالفِعْلِ حتى قِمَّةِ رَأْسِهَا في خِيَانَةِ عِيدُّو. لقد صَارَتْ الخِيَانَةُ طَبِيعَةً ثَانِيَةً لها، ورَغْمَ أَنَّهَا كَرِهَت نَفْسَهَا على ذلك، إِلَّا أَنَّهَا لم تَمْلِك القُدْرَةَ على التَّوَقُّفِ. كان الأَمْرُ أَشْبَهَ بِالذَّهَابِ إلى مَاكْدُونَالْدز، وطَلَبِ هامْبورْجِرٍ مُزْدَوِجٍ مع البَطَاطِسِ المَقْلِيَّةِ والكُولَا. كانت تَسْتَمْتِعُ بِكُلِّ قَضْمَةٍ، ولَكِنْ بَعْدَ أَنْ يَنْتَهِيَ كُلُّ شَيْءٍ كانت تَبْقَى دَائِمًا مُحْرَجَةً وغَيْرَ رَاضِيَةٍ. كانت خِيَانَتُهَا الأُولَى مع مُمَثِّلٍ، لم يُعْرَفْ اِسْمُهُ، جَاءَ إلى مَكْتَبِهَا بَعْدَ يَوْمٍ وَاحِدٍ من تَجْرِبَةِ أَدَاءٍ غَيْرِ نَاجِحَةٍ لِلْعَرْضِ الجَدِيد. كان هذا في الأُسْبُوعِ الأَوَّلِ لها في المَسْرَحِ، وكان كُلُّ مُمَثِّلٍ ما يَزَالُ يَتْرُكُ اِنْطِبَاعًا عليها. لقد وَجَدَت نَفْسَهَا تُقَبِّلُهُ في مَوْقِفٍ لِلسَّيَّارَاتِ، تلك القُبْلَةَ التي جَلَبَت عِدَّةَ لِقَاءَاتٍ قَصِيرَةٍ ومُمَارَسَةٍ سَرِيعَةٍ لِلْجِنْسِ تَرَكَت وَرَاءَهَا شُعُورًا مُمَاثِلاً لِشُعورِ تَنَاوُلِ هامْبورْجِرٍ في مَاكْدُونَالْدز.. اِلْتَقَت بعد ذلك بِالأَدِيبِ الرُّوسِيِّ الذي كَلَّفَتْهَا ياعيل بِاسْتِضافَتِهِ. وأَمْضَتْ على سَرِيرِهِ في الفُنْدُقِ، الذي كان يُطِلُّ على شَارِعِ أَلِينْبِيّ، لِمُدَّةِ أُسْبُوعٍ تَقْرِيبًا حتى عَادَ

[1] - גרויסמן, אולה: קהילת האבודים, הוצאת ידיעות ספרים - משכל, תל אביב, 2014, עמ' 23.

إلى مُوسْكُو، وتَرَكَ لها دِيوَانًا شِعْرِيًّا بِاللُّغَةِ الرُّوسِيَّةِ مع إهْدَاء: «سَأَتَذَكَّرُكِ إلى الأَبَد»."

يتجلَّى في هذه الفقرة أن دخول الفتاة الروسية في علاقات متعددة يأتي نتيجة انحراف أخلاقي أو خلل اجتماعي؛ وهنا نلاحظ مدى إهمال الأب وتخلِّيه عن المسؤولية تجاه ابنته.

الجدير بالذكر أنه بدلاً من أن تقوم الحكومات في إسرائيل بمحاربة فاحشة الزِّنا؛ لما تسبِّبه من مفاسدٍ كبيرة تلحق أضرارًا بالغة في المجتمع، "أصدرت عام ١٩٨٠ قانون إباحة الدَّعارة، وبموجبه وتحت ستار قانوني تقوم السلطات الإسرائيلية بتنظيم الدَّعارة، ونشرها، ورعاية العاهرات، وحمايتهن أيضًا مقابل ضرائب محددة يدفعنها لخزينة الدولة"[١]؛ مما يعني تشجيع هذه الحكومات على ارتكاب النساء للرَّذيلة علنًا، "وقد أشار البروفيسور «مناحيم أمير» (١٩٣٠ – ٢٠١٥) أستاذ علم الجريمة في الجامعة العبرية إلى أن ألف امرأة يتم تهريبهن إلى إسرائيل سنويًا للعمل في مهنة الدَّعارة.. وتجمع التقارير الصادرة عن المؤسسات البحثية الإسرائيلية أن ما بين ١٥–٢٠٪ من النساء الروسيات يعملن في الدَّعارة"[٢]؛ نتيجة طبيعية لمعاناة الكثير من اليهود الروس من الفقر والبطالة في هذا الكيان[٣].

تواصل رواية «جماعة الضائعين» تسليط الضوء على ارتكاب الفتاة الروسية لفاحشة الزِّنا ممثلاً في خيانتها للشخص الذي قد ترتبط به أو تتزوجه بعد حين؛ فعلى

---

[١]- باسمة محمد حامد: المرأة في إسرائيل بين السياسة والدين، تقديم: ظافر بن خضراء، دار كنعان، دمشق، ٢٠٠٥، ص ٩٥.

[٢]- باسل يوسف النيرب: المرأة في إسرائيل، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٦، ص ١٣٩-١٤٠.

[٣]- أشارت الرواية العبرية المعاصرة - محل الدراسة - في مواضع كثيرة منها إلى معاناة غالبية المهاجرين الروس من مشكلتي الفقر والبطالة - خاصةً في السنوات الأولى لقدومهم إلى إسرائيل - مما أدى بهم للعمل في وظائفٍ لا تتوافق مع مؤهلاتهم العلمية، فضلاً عن لجوئهم للمبيت في الشـــــوارع. (לעיין: גרויסמן, אולה: שם, עמ' 309-308, 165-164. וגם לעיין: קמחי, אלונה: שם, עמ' 217, 235).

الرغم من إقدام «ناتاشا» على الزواج من رجل الأعمال «عوفر جلاور»، إلا أنها تعتاد الذهاب إلى منزل «إيلي أُورْكِين»؛ من أجل ممارسة الزِّنا معه، وهو الأمر الذي اضطرَّت أن تصرِّح به لاحقًا أمام «أُورْكِين»:

**"«יש לך מישהו אחר,» קבע אלי.**
**«כן,» אמרה בשקט, בוהה בכפות רגליה.**
**«וזה רציני?»**
**«כן.»**
**אלי צחק. «איך זה יכול להיות רציני אם רוב הזמן את איתי במיטה?»**
**«אנחנו מתחתנים באפריל,» ענתה ביובש."**[1]

"قال إيلي: «هل هناك شَخْصٌ آخَرُ في حَيَاتِكِ؟».
قَالَتْ بِهُدُوءٍ وهي تُحَدِّقُ في أَخْمَصَيْ قَدَمَيْهَا: «نعم».
«وهل الأَمْرُ جِدِّيٌّ؟»
«نعم.»
ضَحِكَ إيلي. «كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ جِدِّيًّا إِذَا كُنْتِ مُعْظَمَ الوَقْتِ مَعِي على السَّرِير؟»
رَدَّتْ بِجَفَافٍ: «سَنَتَزَوَّجُ في أَبْرِيل»"

يبيِّن هذا المشهد أن المرأة الروسية لا تكترث مطلقًا لخطورة ما تقترفه من خيانة في حق الرجل الذي ترتبط به، وتأثير ذلك بالسلب على حياتها مستقبلاً بعد الزواج منه. إلا أن هذه الخيانة لم تقتصر فقط على المرأة، بل على الرجل الروسي أيضًا؛ ففي الرواية ذاتها نجد أن «سلوتسكي» كان يخون زوجته «ديانا» من خلال ممارسته للزِّنا مع النساء الأخريات:

---

[1]- גרויסמן, אולה: שם, עמ' 163.

"וגם היא היתה אשתו על הנייר בלבד. ואולם אם היה אומר זאת ישירות בפניה, היה צריך לסבול שעות של צעקות או לעזוב את הבית עד יעבור זעם.
«גבר יהודי לא עוזב אישה בהיריון,» אמרה לו כשרצה לעזוב, «ואתה גבר יהודי אמיתי». הוא עשה את המעשה הנכון, אך לא נגע עוד באשתו. לאחר כשנה נולדה להם בת שנייה, וסלוצקי החל לפקפק באבהותו על בתו הראשונה. הוא קבר את עצמו בעבודה ובנשים אחרות, ומה שמשפחתו ראתה ממנו היה רק חצי ממשכורתו."[1]

"وكَانَتْ هي أَيْضًا زَوْجَتُهُ على الوَرَقِ فقط. ولَكِنْ إِذَا قَالَ ذلك مُبَاشَرَةً في وَجْهِهَا فَسَيُضْطَرُّ إلى تحمُّلِ سَاعَاتٍ من الصُّرَاخِ أو مُغَادَرَةِ المَنْزِلِ حتى يَمُرَّ الغَضَبُ. قَالَتْ له عندما أَرَادَ المُغَادَرَةَ: «إِنَّ الرَّجُلَ اليَهُودِيَّ لا يَتْرُكُ زَوْجَتَهُ الحَامِلَ، وأَنْتَ رَجُلٌ يَهُودِيٌّ حَقِيقِيٌّ». لقد فَعَلَ الشَّيْءَ الصَّحِيحَ، لَكِنَّهُ لم يَعُدْ يَلْمِسُ زَوْجَتَهُ. بَعْدَ حَوَالَيْ عَامٍ، وُلِدَتْ لهما اِبْنَةٌ ثَانِيَةٌ، وبَدَأَ سلوتسكي يَشُكُّ في أُبُوَّتِهِ لِاِبْنَتِهِ الأُولَى. ودَفَنَ نَفْسَهُ في العَمَلِ والنِّسَاءِ الأُخْرَيَاتِ، وما رَأَتْهُ أُسْرَتُهُ منه كان مُجَرَّدَ نِصْفِ رَاتِبِهُ."

تشير الفقرة هنا إلى أن خيانة الرجل الروسي لزوجته عادةً ما تكون نابعة من عدم شعوره بالسعادة والراحة والثقة في حياته الزوجية؛ ولذا يحاول الفرار من هذا الوضع من خلال لجوئه إلى الزِّنا مع امرأة أخرى يشعر معها بالراحة؛ مما يؤدي إلى دمار الأسرة، والتأثير سلبًا على الأطفال.

وهكذا يمكن القول بأن الرواية العبرية المعاصرة – محل الدراسة – أبرزت واحدًا من أهم أشكال الجريمة التي يقترفها العديد من يهود روسيا في المجتمع الإسرائيلي، وهو ارتكابهم للزِّنا، وتعدد علاقاتهم الجنسية، وامتهانهم للدَّعارة؛ لما تسبِّبه هذه

[1]- שם : עמ' 296- 297.

الفواحش من أضرارٍ وأمراضٍ بالغة، سواءً العضوية، أو النفسية، أو الاجتماعية، فضلاً عن اضطراب المجتمعات، وتفكُّك الأُسر وضَياعها؛ مما يدل على فساد الأخلاق لدى اليهود الروس وعدم مبالاتهم لهذه الأخطار التي تلحق بهم من جرّاء ممارستهم للزِّنا، بل يدل على فشل المجتمع الإسرائيلي ذاته في استيعاب هؤلاء الروس؛ ومن ثمَّ زيف الزَّعْم الصهيوني بأن ذلك المجتمع هو بوتقة صهر تمتزج فيها كل الطوائف اليهودية باختلاف أصولها، وثقافاتها، وبيئاتها الاجتماعية.

**(ب) ارتكاب يهود روسيا للسرقة وغسيل الأموال:**

تعتبر السرقة من الآفات التي تصيب مجتمعات العالم؛ ولذا اتفقت كل التشريعات الدينية والوضعية على تجريمها؛ لما تشكل اعتداءً خطيرًا على الأمن الاقتصادي والاجتماعي. ويعاني المجتمع الإسرائيلي من انتشار هذه الجريمة بشكلٍ جَليٍّ؛ ففي "عام ١٩٧٨ أعلن رئيس شعبة التحقيقات في شرطة إسرائيل [آنذاك] العميد «أهارون شالوش» (١٩٢٠ – ٢٠٠٤) «أن الشرطة عالجت خلال هذا العام حوالي نصف مليون قضية منها ٤٠ ألف سرقة، و٥٠ ألف حادثة سطو، و١٥ ألف سرقة سيارات.. ». أما رئيس قسم التحقيقات في القيادة العامة للشرطة أعلن في مؤتمر صحفي عقده بتاريخ ٩-٣-١٩٨٠: «كل يوم يُنفَّذ أكثر من ١٠٠ حادث اقتحام للبيوت، وأكثر من ٦٠ حادث سطو على المصانع، وأكثر من ٤٠ حادث سرقة سيارات»"[١]، ووفقًا لتقرير عن «أبعاد الجريمة في إسرائيل في الأعوام ١٩٩٠-٢٠١٠» فإنه "بشكلٍ عام ، تمَّ تسجيل أعلى معدلات الإبلاغ في سرقة السيارات؛ بسبب التأمين على السيارات، وأدناها – في السطو على الشقق، أو السرقة من الشقق، وعمليات النشل وغيرها"[٢]، كما يذكر في هذا الصدد "«موشيه روزنبلوم»،

[١] - وفيق ابو حسين: الجريمة في إسرائيل، دراسة سيكولوجية لظاهرة الإجرام داخل التجمع الصهيوني، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت، ١٩٨٢، ص ٧٦.

[٢] - זוסמן, נעם ואחרים : ממדי הפשיעה בישראל בשנים 1990-2010, הוצאת המכון הישראלי לדמוקרטיה, ירושלים, 2016, עמ׳ 39.

المدير التنفيذي لسلسلة مراكز التسوق الإسرائيلية التي تضم ١٧ مركزًا تجاريًا في جميع أنحاء الكيان الصهيوني، قائلاً: «تشير المحادثات مع أصحاب سلاسل المتاجر إلى أنه في بعضها كانت هناك زيادة في حجم السرقات، وفي البعض الآخر لا. وبطبيعة الحال، عندما تكون هناك ضائقة، تتوسع الظاهرة». وتقدر سلسلة «كو أوب يسرائيل» أن حجم السرقات من فروعها بلغ ١١ مليون شيكل في عام ٢٠٠٨.. والمنتج الأكثر سرقة هو الكحول، تليه مستحضرات التجميل، وأغذية الأطفال، والحِفاظات، والمنتجات الغذائية: الشوكولاتة، واللحوم، والأجبان الباهظة الثمن، والقهوة."[١]

يعد المهاجرين الروس إحدى أهم الطوائف المجتمعية في إسرائيل التي تواجه اتهامات بارتكاب جريمة السرقة؛ "فقد أشار أصحاب المحال في المناطق التي يسكنها المهاجرون إلى زيادة كبيرة في أعمال السرقة"[٢]، تلك الجريمة التي وصلت أصداؤها إلى الرواية العبرية المعاصرة، مثل رواية «ڤيكتور وماشا» التي أبرزت تورط الأحداث الروس في عمليات النشل من المؤسسات والمحلَّات التجارية في إسرائيل؛ فكانت «ماشا» اللَّطِيمة تجنح دائمًا إلى النشل من الكيبوتس ومحلَّات الهدايا التَّذكارية؛ من أجل إمداد شقيقها الصغير «ڤيكتور» بكل ما كان يحتاج إليه من مستلزمات طوال فترة التحاقه بالمدرسة الداخلية، وواصلت هذا السلوك الإجرامي حتى بعد عودتهما للعيش معًا، وذلك عقب هجرة جدتهما «كاترين»، وتحملها مسؤولية الاعتناء بهما:

**"היא גנבה לאורך כל שהייתה בקיבוץ, וסיפקה לו כל מה שהיה דרוש לו, החל מבגדים כמעט חדשים וכלה בסבון תינוקות עדין מבתי הילדים, להגן על עורו האלרגי. היא גנבה חפיסות שוקולד אגוזים**

---

[١] - נחושתאי, אפרת: "הצד האפל של המיתון, עלייה בשיעור הגניבות", חינוך וחברה, הארץ, (8/7/2008):
https://www.haaretz.co.il/news/education/1.1276731

[٢] - محمد أحمد صالح: هجرة اليهود الروس إلى إسرائيل، أبعادها وأخطارها علي الأمن القومي العربي، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، أبو ظبي، ٢٠٠٢، ص ٣٧.

מהמרכול, ותקליטים וחפצי נוי קטנים מחנויות מזכרות בתחנה המרכזית.. אז נכון, היא עשתה בשבילו את כל מה שחשבה לנכון. מרחוק. היא גנבה בשביל שיהיה לו טוב, בשביל שירגיש מטופל ומפונק כמו ילד רגיל. אבל מאז שתמה תקופת הפירוד והם שבו לחיות יחד, חל שינוי בגישתה וכל עניין הגניבות הפך גם הוא לסוג של טקס שחוזרים עליו שוב ושוב, כמו נשיפה על נרות של עוגת יום הולדת."[1]

"كَانَتْ تَسْرِقُ طَوَالَ الوَقْتِ الذي كَانَتْ فيه في الكِيبُوتْسِ، وَتُزَوِّدُهُ بِكُلِّ ما كان يَحْتَاجُهُ من مَلَابِسٍ جَدِيدَةٍ تَقْرِيبًا إلى صَابُونِ الأَطْفَالِ الرُّضَّعِ الرَّقِيقِ من دُورِ الأَطْفَالِ؛ لِحِمَايَةِ بَشَرَتِهِ الحَسَّاسَة. كَانَتْ تَسْرِقُ عُبُوَّاتِ شُوكُولَاتَةِ البُنْدُقِ من السُّوقِ المَرْكَزِيِّ، وأُسْطواناتٍ مُوسِيقِيَّةً، وحُلِيًّا صَغِيرَةً من مَحَلَّاتِ الهَدَايَا التَّذْكَارِيَّةِ في مَحَطَّةِ الحَافِلَاتِ المَرْكَزِيَّة.. لذا، كَانَتْ تَفْعَلُ من أَجْلِهِ كُلَّ ما تَعْتَقِدُهُ صَحِيحًا. من بَعِيدٍ. فكَانَتْ تَسْرِقُ لِكَي يَكونَ بِخَيْرٍ؛ ولِكَي يَشْعُرَ بِأَنَّهُ يَتِمُّ الِاعْتِنَاءُ به وتَدْلِيلُهُ كَطِفْلٍ طَبِيعِيٍّ. ولَكِنْ مُنْذُ أن اِنْتَهَتْ فَتْرَةُ الِانْفِصَالِ، وعَادَا لِلْعَيْشِ مَعًا، حَدَثَ تَغْيِيرٌ في مَوْقِفِهَا، وأَصْبَحَ مَوْضُوعُ السَّرِقَاتِ بِأَكْمَلِهِ أَيْضًا نَوْعًا من الطُّقُوسِ التي تَتَكَرَّرُ مِرَارًا وَتَكْرَارًا، مِثْلَ النَّفْخِ على شُمُوعِ كَعْكَةِ عِيدِ المِيلَاد."

تكشف الفقرة هنا عن أحد الأسباب الرئيسة لجنوح المهاجرين الروس إلى ارتكاب السرقة في إسرائيل، وهو معاناة الكثير منهم من الفقر المُدْقِع، فضلاً عن تقاعس الكيان الصهيوني عن تلبية كل متطلباتهم العادية والحياتية اليومية، وخاصةً متطلبات الأحداث اللُّطُم منهم، كما نلاحظ في هذه الفقرة إحساس «ماشا» بكونها مسؤولة عن شقيقها؛ فلم يكن من السهل عليها أن تراه يعيش في حالة من البؤس والحرمان من ممارسة طفولته الطبيعية؛ مما دفعها في النهاية إلى الوقوع في براثن السرقة. والجدير بالذكر أنه في أواخر التسعينيات من القرن العشرين "أعلن قائد شرطة مستوطنة «بني

[1]- קמחי, אלונה: שם, עמ' 83, 85.

براك» أنه وبطريقة المصادفة تمَّ اكتشاف عصابة من الأطفال أعمارهم ما بين ١٢-١٥ سنة قاموا بحوالي ١٢ عملية سرقة، وهذه السرقات منظمة، ولا أحد يستطيع أن يشك أنهم أطفال، وهذه العمليات هي سرقة محلَّات – مطاعم – أبنية – ملاهي"[١]؛ الأمر الذي يعكس بدوره فشل المؤسسات التربوية الإسرائيلية في القيام بدورها إزاء التنشئة السليمة لهؤلاء الأطفال.

وثمَّة مظهر آخر من مظاهر جريمة السرقة التي تتفاقم في إسرائيل، وهو قيام الجنود اليهود بسرقة الأسلحة والذخائر من مستودعات الجيش الإسرائيلي؛ من أجل بيعها وتحقيق الربح السريع منها؛ ففي "يوليو ٢٠٠٥ تمَّ اعتقال مجندتين بتهمة نقل ثلاث بنادق من نوع إم-١٦ لأحد العرب من قرية قلنسوة في الشمال، وقامتا بذلك لتغطية ديون مالية"[٢]، "وبحسب معطيات الجيش، فإنه تمَّ سرقة ١٢٢ قطعة سلاح في عام ٢٠٠٩، و١١٦ في ٢٠١٠، و٥٥ في ٢٠١١، و٨٩ في ٢٠١٢، و٦٠ قطعة في ٢٠١٣"[٣]. وتشير تقارير الجيش الإسرائيلي إلى أن هناك كميات ضخمة من الأسلحة التي خرجت من مخازن الجيش وصلت إلى غزة وطولكرم ونابلس وجنين، واستخدمت ضد أهداف إسرائيلية، ونفذت بواسطتها عمليات. ويحرص الناطقون الرسميون باسم الحكومة الإسرائيلية وجيشها على التأكيد أن أسباب الظاهرة تكمن في الأوضاع المالية المتدهورة؛ فالغالبية الساحقة من المتورطين في عمليات

---

[١]- كرم فواز الجباعي: المجتمع الإسرائيلي، حقائق ودلالات، المنارة للنشر، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٨٥.

[٢]- عدنان أبو عامر: ثغرات في جدار الجيش الإسرائيلي، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ٢٠٠٩، ص ١٧٧.

[٣]- בוחבוט, אמיר: "חרף מאמצי צה"ל: 422 כלי נשק נגנבו בחמש שנים", צבא וביטחון, וואלה! חדשות, (28/5/2014): https://news.walla.co.il/item/2750770

السرقة هم من الجنود الفقراء، الذين لا يجدون القوت في بيوتهم، فيلجأون إلى أسهل الطرق للثراء؛ إذ إن الأسعار التي تعرض لكل قطعة مرتفعة ومغرية.[1]

وقد وجد المهاجرون الروس الذين التحقوا بالتجنيد في الجيش الإسرائيلي أنفسهم كغيرهم من هؤلاء الجنود يرتكبون هذا النوع من السرقة؛ بحثًا عن الربح والثراء؛ ففي رواية «ڤيكتور وماشا» يرتكب الجندي ذو الأصل الروسي «ڤاديك كراسْنير» جرائم متنوعة أثناء خدمته العسكرية في قاعدة الاستيعاب والفرز بالجيش، ومن أبرزها قيامه بسرقة الأسلحة والذخيرة، وهو الأمر الذي يعترف به أمام «ماشا» كما في الفقرة الآتية:

**"ואכן – דמיונו של ואדיק התברך בעושר ובגיוון: תעלולי נשק אסורים, סחיבת תחמושת, שימוש בכלי רכב צבאיים ללא רשות, העלמת ציוד, עסקאות מפוקפקות ושאר פשעים קטנים וקטנים פחות – את כל אלה ביצע ואדיק ללא כל מעצור. מעולם לא נדרש להסברים, לא נתפס ולא נענש..**

**«סיפרתי לך קודם קצת איזה דברים אני עושה בצבא, וזה עוד כלום. את יודעת כמה כסף עשיתי רק מנשקים שמכרתי?»"**[2]

"في الوَاقِعِ – كان ڤاديك يَتَمَتَّعُ بِخَيالٍ ثَرِيٍّ وَمُتَنَوِّعٍ: العَبَثُ غَيْرِ المَشْروعِ بِالأَسْلِحَةِ، وسَرِقَةُ ذَخِيرَةٍ، واسْتِخْدَامُ مَرْكَبَاتٍ عَسْكَرِيَّةٍ بِدُونِ تَصْرِيحٍ، وإِخْفَاءُ مُعَدَّاتٍ، وصَفَقَاتٌ مَشْكُوكٌ فيها، وغَيْرُهَا من الجَرَائِمِ الصَّغِيرَةِ والأَقَلِّ صِغَرًا – اِرْتَكَبَهَا ڤاديك كُلَّهَا دُونَ أَيِّ رَادِعٍ. لم يَتِمَّ اِسْتِجْوَابُهُ أَبَدًا، ولم يَتِمَّ القَبْضُ عليه، ولم تَتِمَّ مُعَاقَبَتُهُ..

---

[1]- يُنظر: آمال شحادة: "أسلحة الجيش الإسرائيلي يبيعها جنوده... وصواريخ «لاو» فُقدت في الجولان"، فلسطين اليوم، نشرة إخبارية يومية تعني بالشأن الفلسطيني، العدد ٩١٧، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٧، ، ص ٣٢-٣٣.

[2]- קמחי, אלונה: שם, עמ' 219, 221.

«أَخْبَرْتُكِ قَبْلَ قَلِيلٍ عن بَعْضِ الأَشْيَاءِ التي أَفْعَلُهَا في الجَيْشِ، وهذا لا شَيْء. أَتَعْلَمِينَ كَمْ من المَالِ حَصَلْتُ عليه لِلتَّوِّ من الأَسْلِحَةِ التي بِعْتُهَا؟»"

تؤكد الفقرة على أن السرقة صارت بالنسبة للعديد من الروس المجنَّدين في الجيش الإسرائيلي بمنزلة الوسيلة الأيسر التي تؤمن لهم معيشتهم، وتسد حاجاتهم، وتحقق طموحاتهم الذاتية.

الجدير بالذكر أن السرقة كانت تمثِّل أيضًا السلوك الطبيعي الذي كان يمارسه اليهود الروس حتى في بلدهم الأصلي، تلك الحقيقة التي تطرقت إليها رواية «جماعة الضائعين» من خلال المشهد الذي أعلن فيه «چينيا» لشقيقته «آنا» أن والديهما الطبيبين كانا يعيشان – قبل هجرتهما من «سفيردلوفسك» – على جريمة السرقة:

**"«ההורים שלנו התקיימו יפה מאוד מגניבות מהמדינה.. »**
**«אתה אומר לי שאבא ואמא גנבים?»**
**«אחרת איך הם חיו כמו שחיו? הם עשו טיפולים פרטיים בעזרת ציוד וחומרים של המדינה, מכרו גם קצת אלכוהול מהצד. לא משהו מסיבי.»**
**«לא משהו מסיבי? גניבה זו גניבה.»**
**«אל תאשימי אותם, לא היתה דרך אחרת להתקיים בכבוד.»"**[1]

"«كان وَالِدَانَا يَعِيشَانِ بِشَكْلٍ جَيِّدٍ لِلْغَايَةِ على السَّرِقَاتِ من الدَّوْلَة.. »
«هل تَقُولُ لي إن والِدَنا وَوَالِدَتْنَا كَانَا لِصَّيْنِ؟»
«وإِلَّا كَيْفَ كَانَا يَعِيشَانِ كما عَاشَا؟ لقد أَجْرَيَا عِلَاجَاتٍ خَاصَّةً بِاسْتِخْدَامِ مُعَدَّاتِ الدَّوْلَةِ ومَوادِّها، كما بَاعَا بَعْضَ الكُحُولِ خُفْيَةً. وهذا لَيْسَ شَيْئًا ضَخْمًا».
«لَيْسَ شَيْئًا ضَخْمًا؟ السَّرِقَةُ هي السَّرِقَةُ.»

[1]- גרויסמן, אולה: שם, עמ' 356.

«لا تَلُومِيهُمَا، فلم تَكُنْ هنُاك طَرِيقَةٌ أُخرَى لِلْعَيْشِ بِكَرَامَةٍ.»"

يثبت هذا المشهد أنه على الرغم من رقي المهن التي كان يعمل بها اليهود في روسيا، إلا أن الكثير منهم قد تورط في جرائم السرقة؛ بسبب تردي أوضاعهم المعيشية؛ ولذا لم يكن من المستغرب أن يتم اتهامهم – كما أشرنا آنفًا – بأنهم ساهموا في انتشار الجريمة بأنواعها كافة داخل إسرائيل. وتعتبر جريمة غسيل، أو تنظيف، أو تبييض الأموال من أبرز الجرائم الاقتصادية التي يقترفها يهود روسيا في إسرائيل؛ لأنها تنطوي على إخفاء أو تمويه حقيقة أموال تمَّ الحصول عليها بطريقة غير مشروعة من العمليات الإجرامية المنظمة (تجارة المخدرات، اختلاس المال العام، الفساد.. وغيرها)؛ بغية إظهارها للمجتمع على أنها أموال مشروعة نظيفة لإبعاد الملاحقة القانونية عليها[١]؛ ومن ثمَّ نجد أن العديد من المهاجرين الروس المرتكبين لهذه الجريمة في إسرائيل هم رؤساء أو أعضاء في عصابات الجريمة المنظمة (المافيا) الروسية، وهو ما يشير إليه الصحفي البريطاني المتخصص في شؤون الجريمة المنظمة «ميشا جليني» (١٩٥٨ – )؛ إذ "كانت إسرائيل، وفقًا لـ «جليني»، الأرض المثالية الموعودة للأوليجاركيين[٢] ورؤساء الجريمة المنظمة، وقد توافدوا عليها تحت رعاية الهجرة الجماعية: «هذا مكان مثالي للاستثمار أو غسيل الأموال، والنظام المصرفي الإسرائيلي مستعد لتشجيع الهجرة، وهذا يشمل أيضًا تشجيع استثماراتهم.. وقدرت الشرطة الإسرائيلية عمليات غسيل الأموال الروسية عبر البنوك الإسرائيلية خلال ١٥ عامًا منذ انهيار الشيوعية [١٩٨٩] بما يتراوح بين

[١]- يُنظر: مرزوق أمال وبن زراع حياة: "الجريمة الاقتصادية في العالم الافتراضي، جريمة غسيل الأموال باستخدام العملات الافتراضية"، الجريمة الاقتصادية، المحددات والآثار، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة الشاذلي بن جديد، الطارف، ١٩ فبراير ٢٠١٩، ص٥-٦.

[٢]- كلمة ذات أصل يوناني وتعني "الأقلية الحاكمة"، وشاع استخدامها في روسيا لوصف مجموعة من رجال الأعمال الروس الذين حقَّقوا الثروة بسرعة في أعقاب تفكك الاتحاد السوفيتي في التسعينيات من القرن العشرين.

خمسة وعشرة مليارات دولار.» لكن السبب الرئيس لشعبية إسرائيل في هذه الساحة أبسط بكثير: فالكثير من هؤلاء رجال الأعمال، سواء كانوا مشكوكًا في أمرهم أم لا، هم من اليهود، الذين تبنتهم إسرائيل بسعادة."[١]

ممّا سبق نرى أن الحياة المعيشية داخل المجتمع الإسرائيلي تثبت زيف الادِّعاءات الصهيونية وتحطم «مثلها العليا»، التي أخفت وراءها أطماعها الاستعمارية وأهدافها الحقيقية من جلب المهاجرين اليهود من مختلف دول العالم؛ إذ تتراوح هذه الأهداف بين رغبتها في إحداث تغير ديموجرافي في فلسطين وتكريس احتلال الأرض، أو ليكونوا لحومًا للمدافع وجدرانًا بشرية أمام عمليات المقاومة العربية الفلسطينية؛ حتى تستجلب بهم عطف العالم ودعمه، أو ليمكِّنوها من تأسيس أسواق رائجة للجريمة.

عالجت رواية «جماعة الضائعين» قضية ارتكاب يهود روسيا لجريمة غسيل الأموال في إسرائيل من خلال تسليطها الضوء على «إيلي أُورْكِين» وعائلته؛ فكان أخوه «سيوما» – أحد رجال المافيا في «أوديسا» – يمرِّر إليه أموالاً قذرة؛ بهدف أن يقوم «أُورْكِين» بعملية تنظيفها عبر عمله كمرشد نفسي للمهاجرين الجُدد في مركز التطوير الشخصي الذي أسسه في سبتمبر عام ١٩٩٢ في «تَلّ أَبِيب»، وبما لا يدع مجالاً للرَّيب في أمر المبالغ الطائلة التي سيربحها «أُورْكِين» من وراء هذه العملية، ويودعها في حساباته البنكية المتعددة في إسرائيل وكأنها آتية من مصدر مشروع (المركز). وكان «ميريك» – ابن «سيوما» – هو صاحب فكرة هذه الجريمة، لكن في النهاية أفشى بها في لقائه الأخير مع مديرة المركز آنذاك «عَنات ليڤينسون»، بعد أن نشب بينه وبين «أُورْكِين» خلافٌ حاد على إثره تمَّ طرد «ميريك» من عمله كمسؤول مالي للمركز:

---

[١] - גלילי, לילי ורומן ברונפמן: המיליון ששינה את המזרח התיכון, העלייה הסובייטית לישראל, הוצאת מטר, תל אביב, 2013, עמ' 190.

"מריק לא היה עוד אדם מבריק ויפה תואר שהצליח לבנות עסק מסחרר מאפס, אלא מישהו שמאחוריו עמדה משפחת פושעים אדירה כמו מאפיה מהסרטים וכל כספו היה תולדה של תרומות נדיבות מאבא באודסה. ואלי אורקין הוא לא פסיכולוג דגול, ממציא שיטה טיפולית יוצאת דופן, אלא פושע זעיר והומופוב שעושה כסף על גבם של מסכנים ומלבין כך כספים של המאפיה. והמאפיה היא אותה המאפיה מאותה אודסה שגם מריק וגם אלי קשורים אליה בטבורם. ביום שפגשה את מריק הוא עלה לביתה והתרווח על הספה בסלון. הוא הסכים לשתות קפה ולאחר שיחת חולין היא שאלה מה קרה באמת עם אלי.

«את בטוחה שאת רוצה לדעת?»

«למה לא?»

«כי אולי אחרי זה את תרצי לעזוב.»

«ספר ונראה,» אמרה ועטפה את ספל הקפה שלה בכפות ידיה. ככל שהתקדם בסיפורו, כך התהדקו כפות ידיה סביב הספל עד שקצות אצבעותיה החלו לכאוב והיא הניחה אותו על השולחן. ראשית טען מריק שאלי בא לשוחח עמו ופירט את תוכן השיחה עד כדי כך שהיה לה קשה להאמין שלא התקיימה. שנית, הוא הודה שהרעיון להלבין את הכסף של אביו היה שלו.

«מה זה אומר?» שאלה.

«זה אומר שלאלי יש טונות של כסף שחור והוא מעביר אותו דרך המרכז וככה מלבין אותו.»

«זה חוקי?»

«ברור שלא!» התרעם מריק.

«אז למה הצעת את זה?» שאלה, ומריק הביט בה ולא אמר מילה.

«והכסף הזה בא מאבא שלך, שהוא מאפיונר באודסה?» שאלה.

**«בפיך זה נשמע כמעט רומנטי,» אמר בחיוך. «לאבא שלי, מעל לשולחן, יש עסק קברנות. מה הוא עושה מתחת לשולחן, אין לי מושג. לא נשארתי מספיק זמן באודסה כדי לגלות.»"**[1]

"لم يَعُدْ ميريك رَجُلاً رَائِعًا ووَسِيمًا اِسْتَطَاعَ أَنْ يَبْنِيَ عَمَلاً تِجَارِيًّا مُذْهِلاً من الصِّفْرِ، ولَكِنْ شَخْصًا كَانَتْ تَقِفُ خَلْفَهُ عَائِلَةٌ ضَخْمَةٌ من المُجْرِمِينَ مِثْلَ عِصَابَاتِ المَافْيَا في الأَفْلاَمِ، وكُلُّ أَمْوَالِهِ كَانَتْ نَتِيجَةَ تَبَرُّعَاتٍ سَخِيَّةٍ من وَالِدِهِ في أوديسا. وإيلي أُورْكِين لَيْسَ عَالِمًا نَفْسِيًّا عَظِيمًا، ومُخْتَرِعَ طَرِيقَةٍ عِلاَجِيَّةٍ غَيْرِ عَادِيَّةٍ، ولَكِنْ مُجْرِمًا صَغِيرًا ومُعادًا لِلشُّذُوذِ الجِنْسِيِّ يَكْسِبُ المَالَ على ظَهْرِ المَسَاكِينِ، ويَغْسِلُ بذلك أَمْوَالَ المَافْيَا. والمَافْيَا هي نَفْسُ المَافْيَا من أوديسا نَفْسِهَا التي يَرْتَبِطُ بها كُلّاً من ميريك وإيلي بِعُمْقٍ شَدِيدٍ. فَفِي اليَوْمِ الذي اِلْتَقَتْ فِيه بميريك، صَعِدَ إِلَى بَيْتِهَا، واِسْتَرْخَى على الأَرِيكَةِ في غُرْفَةِ المَعِيشَة. ووَافَقَ على اِحْتِسَاءِ القَهْوَةِ، وبَعْدَ دَرْدَشَةٍ سَأَلَتْهُ عَمَّا حَدَثَ حَقًّا مع إيلي.

«هَل أَنْتِ مُتَأَكِّدَةٌ أَنَّكِ تُرِيدِينَ أَنْ تَعْرِفِي؟»

«لِمَا لَا؟»

«لِأَنَّهُ رُبَّمَا تَرْغَبِينَ بعد ذلك في تَرْكِهِ.»

قَالَتْ وهي تَضُمُّ فِنْجَانَ القَهْوَةِ بِرَاحَتَيْ يَدَيْهَا: «اِحْكِ، وسَنَرَى». وكُلَّمَا تَقَدَّمَ في حِكَايَتِهِ، كُلَّمَا اِشْتَدَّتْ رَاحَتَيْ يَدَيْهَا حَوْلَ الفِنْجَانِ حتَّى بَدَأَتْ أَطْرَافُ أَصَابِعِهَا تَتَأَلَّمُ، فَوَضَعَتْهُ على المِنْضَدَة. أَوَّلاً، اِدَّعَى ميريك أَنَّ إيلي جَاءَ لِلتَّحَدُّثِ مَعَهُ، وشَرَحَ بِالتَّفْصِيلِ مُحْتَوَى المُحَادَثَةِ لِدَرَجَةِ أَنَّهُ كان من الصَّعْبِ عليها تَصْدِيقُ أَنَّهَا لم تَحْدُث. ثَانِيًا، اِعْتَرَفَ بِأَنَّ غَسِيلَ أَمْوَالِ وَالِدِهِ كان فِكْرَتَهُ.

سَأَلَتْ: «ماذا يَعْنِي هذا؟».

---

[1]- גרויסמן, אולה: שם, עמ' 476.

«هذا يَعْنِي أَنَّ إيلي لَدَيْهِ الكَثِيرُ من الأَمْوَالِ القَذِرَةِ، ويُمَرِّرُهَا عَبْرَ المَرْكَزِ، وبهذه الطَّرِيقَةِ يَغْسِلُهَا.»

«هل هذا قَانُونِيّ؟»

«بِالطَّبْعِ لا!» ميريك مُسْتاءٌ.

سَأَلَتْ: «إذًا لماذا اِقْتَرَحْتَ ذلك؟»، ونَظَرَ ميريك إليها، ولم يَقُل كَلِمَةً وَاحِدَةً.

سَأَلَتْ: «وقد جَاءَ هذا المَالُ من وَالِدِكَ، الذي يُعْتَبَرُ أَحَدَ رِجَالِ المَافْيَا في أوديسا؟».

قَالَ مُبْتَسِمًا: «إِنَّكِ تَجْعَلِينَ الأَمْرَ يَبْدُو عَاطِفِيًّا. إِنَّ والِدِي يَعْمَلُ عَلَنًا فِي دَفْنِ المَوْتَى. أَمَّا ما يَفْعَلُهُ تَحْتَ الطَّاوِلَةِ، فَلَيْسَ لَدَيَّ أَيُّ فِكْرَةٍ. لم أَبْقَ لِفَتْرَةٍ كَافِيَةٍ في أوديسا لِأَكْتَشِفَ ذلك.»"

يميط المشهد السابق اللثام عن اختراق عصابات المافيا الروسية للنظام المالي والمصرفي في إسرائيل؛ من أجل تبييض أموالها غير المشروعة أيًّا كان مصدرها، كما لو أن إسرائيل – بما يتفق مع رأي «جليني» – هي المكان الأمثل والمفضل لممارسة هذه الجريمة من قبل أفراد المافيا. والجدير بالذكر أن إسرائيل قد شهدت العديد من نماذج رجال المافيا الروسيين المقترفين لعمليات غسيل الأموال وغيرها من الجرائم؛ إذ يقول «جليني» إن: "«عددًا مذهلاً من الأوليجاركيين ورؤساء الجريمة المنظمة حصلوا على الجنسية الإسرائيلية في النصف الأول من التسعينيات، بمن فيهم أعضاء بارزون في دائرة «بِلتسين» (١٩٣١ – ٢٠٠٧) الداخلية، المعروفة باسم «النجوم السبعة»، مثل «بوريس بيريزوڤسكي» (١٩٤٦ – ٢٠١٣)، و«ڤلاديمير جوسينسكي» (١٩٥٢ – )». وهناك أيضًا أقطاب الصناعة الأوائل، مثل الأوكراني «ڤلاديمير (ڤاديم) رابينوڤيتش» (١٩٥٣ – )، أو الروسي «ميخائيل تشيرنوي» (١٩٥٢ – )، الذين تمَّ رصد أعمالهم عن كثب من قبل وكالات الاستخبارات الغربية.»"[1]

[1]- גלילי, לילי ורומן ברונפמן: שם, עמ' 190.

## ثانيًا: تفشي الإدمان بين يهود روسيا في إسرائيل:

يعد الإدمان من أكثر الظواهر السلبية الخطيرة التي تهدِّد أمن وسلامة المجتمعات؛ لما يترتب عليه من أضرارٍ جسيمة تؤثِّر في كل جوانب الحياة. وقد تعددت مظاهر الإدمان بين العديد من يهود روسيا في المجتمع الإسرائيلي، وكان من أهمها الإدمان على تعاطي المخدِّرات والكحوليات، ويمثِّل إحدى الإشكاليات الرئيسة التي تتناولها الرواية العبرية المعاصرة – محل الدراسة – بشكلٍ جليّ على النحو الآتي:

### (أ) إدمان يهود روسيا للمخدِّرات:

يعتبر إدمان المخدِّرات آفة بالغة الخطورة؛ لما له من آثارٍ نفسية، واقتصادية، واجتماعية كارثية تهدد المدمن نفسه، أو الأسرة، أو البنية المجتمعية المحيطة به. ويعاني المجتمع في إسرائيل من تفشي هذه الظاهرة بين الكثير من اليهود، وخاصةً فئة الأحداث والشباب؛ إذ أشارت بيانات وزارة العمل والرفاه الإسرائيلية في عام ٢٠١٨ إلى أنه "يعيش في إسرائيل حوالي ١٢٠ ألف مدمن على المخدِّرات، والكحول، والقِمَار، والجنس، والتسوق عبر الإنترنت. وأن واحدًا فقط من كل ستة مدمنين يتوجه لتلقي للعلاج. كما تظهر البيانات أنه في عام ٢٠١٧ ارتفع عدد الفتيات والشابات حتى سن ٢٥ عامًا اللاتي يتلقين العلاج في إطار وزارة العمل والرفاه بشكلٍ حاد بسبب الإدمان.. وأن ٣٢٪ من إجمالي المتلقين للعلاج مدمنون على الكحول، و٣٢٪ مدمنون على القُنَّب الهندي ومشتقاته بطريقة تجعل من الصعب عليهم العمل في

الحياة اليومية، و١٤٪ مدمنون على المواد الأفيونية مثل الهيروين والمورفين، و٦٪ مدمنون على الكوكايين."[١]

يتضح من المُعطيات التي نشرتها أقسام الخدمات الاجتماعية التابعة للسلطات المحلية الإسرائيلية في عام ٢٠١٣ أن الكثيرين من اليهود الروس في إسرائيل مدمنون على المخدِّرات؛ فهي تقول إن "نسبة مدمني المخدِّرات من المهاجرين الروس هي ثاني أعلى معدل (٢.٢ لكل ألف من إجمالي المهاجرين الروس)"[٢]؛ وهي نتيجة حتمية لصعوبة الأوضاع المعيشية والسكنية، وما ترتب عليها من تدهورٍ في البيئة الأسرية السليمة، وغيرها من المشكلات المريرة التي اصطدم بها هؤلاء المهاجرون، والتي قد أوصلت معظمهم إلى حالة من اليأس، والإحباط، والضَّياع؛ "فالفرد الإسرائيلي – اليهودي يتعاطى المخدِّرات ظنًا منه بأنه الطريق الوحيد للهروب من واقعه المؤلم. ومما لا ريب فيه أن تعاطي المخدِّرات ما هو سوى طريق وهمي للخلاص، تؤكده التصورات اللاواعية لدى المدمن دون إدراك أبعاده ومخاطره. وهذه الظاهرة جاءت لتزيد التجمع الإسرائيلي تحللاً، وتفتتًا، وقذارةً، وفسادًا. ولتساهم في سيطرة النزعات التشاؤمية، والعدمية، واللاأخلاقية كسمات مميزة من سمات هذا التجمع."[٣]

تعد رواية «ڤيكتور وماشا» من أهم الروايات العبرية التي عالجت ظاهرة إدمان المخدِّرات لدى يهود روسيا، مركِّزةً على إدمانهم لأحد مشتقات القُنَّب الهندي، وهو المخدِّر الضَّارّ المعروف بالحَشِيش؛ ففي الرواية يعاني «ڤيكتور» اللَّطيم البالغ من

---

[١]- ברקן, נעם: "מקוקאין עד סקס: נתוני ההתמכרויות בישראל נחשפים", בריאות ואיכות חיים, ynet, (31/10/2018):
https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-5384748,00.html

[٢]- פלורנטין, איריס ואחרים: "חלק א': אוכלוסיית המתמכרים לסמים, לאלכוהול ולהימורים", בגירים במצוקה קשה ובמצבי משבר, סקירת השירותים החברתיים 2014, הוצאת משרד העבודה, הרווחה והשירותים החברתיים, ירושלים, אוקטובר 2015, עמ' 440.

[٣]- وفيق ابو حسين: مرجع سابق، ص ٨٤.

العمر ١٦ عامًا من إدمان الحشيش، ويبذل الوسائل المتاحة التي تمكِّنه من الحصول على هذا المخدِّر؛ إذ قام على سبيل المثال بتأدية مهمة طلبها منه الجندي «ڤاديك كراسْنير»، وهي أن يرسل معه قُصاصة ورق إلى إحدى الفتيات اللاتي تربطهن علاقة بالجندي، وذلك مقابل تسليمه قطعة حشيش، وتصف الرواية – كما في الفقرة التالية – الطريقة التقليدية التي كان يُحضِّر بها «ڤيكتور» سيجارة الحشيش ويُدخِّنها أمام ناظِرَي شقيقته «ماشا»، والتي اعتاد عليها منذ التحاقه بالمدرسة الداخلية بعد فقدانه لوالديه:

**"בהזדמנות אחרת קיבל מהחייל ואדיק קרַסנָר גוש חום ורך של חשיש בתמורה לשליחות שעשה עבורו – להביא פתק לאירה שלמדה בבית ספר לאחיות והתגוררה ברחוב בורלא, מעשה שהיה כורח המציאות מפני שלא היו קווי טלפון בבתי העולים.**
**הוא חימם ופורר את הגוש הקטן תחת מבטה הספקני של אחותו, ערבב את הפירורים בטבק, מילא סיגריה – כפי שנהג לעשות בפנימייה כשעזרי היה מביא חשיש שסחב מאחיו הבוגרים – ועישן בשקידה, מחזיק את העשן בריאותיו שניות ארוכות."**[١]

"وفي مُنَاسِبَةٍ أُخْرَى، حَصَلَ على قِطْعَةِ حَشِيشٍ بُنِّيَّةٍ وطَرِيَّةٍ من الجُنْدِيِّ ڤاديك كراسْنير مُقَابِلَ مُهِمَّةٍ قَامَ بها من أَجْلِهِ – أَنْ يُحْضِرَ قُصَاصَةَ وَرَقٍ إلى إيرا التي كَانَتْ تَدْرُسُ في مَدْرَسَةِ التَّمْرِيضِ، وتَعِيشُ في شَارِعِ بُورْلا، وهو عَمَلٌ كان ضَرُورِيًّا؛ لِأَنَّهُ لم تَكُنْ هُناك خُطُوطٌ هَاتِفِيَّةٌ في بُيُوتِ المُهاجِرِين.
قَامَ بِتَسْخِينِ القِطْعَةِ الصَّغِيرَةِ، وتَفْتِيتِها تَحْتَ نَظْرَةِ أُخْتِهِ المُرْتابَةِ، وخَلَطَ فُتَاتَهَا بِالتَّبْغِ، ومَلأَ سِيجَارَةً – كما اِعْتَادَ أَنْ يَفْعَلَ في المَدْرَسَةِ الدَّاخِلِيَّةِ عندما كان

[١]- קמחי, אלונה: שם, עמ' 150.

عيزْري يَجْلُبُ الحَشِيشَ الذي كان يَسْرِقُهُ من إِخْوَتِهِ الكِبَارِ – ودَخَّنَهَا بِكَدٍّ، وهو يَحْبِسُ الدُّخَانَ في رِئَتَيْهِ لِمُدَّةِ ثَوَانٍ."

تعكس الفقرة هنا أحد دوافع لجوء الأحداث من المهاجرين الروس – الذين يمثّلهم «ڤيكتور» – إلى إدمان المخدِّرات، وهو الشعور بالضَّياع والإحباط نتيجة غياب التربية القويمة، وانهيار الأخلاق، وخاصةً بعد تعرُّضهم لمرارة اليُتم والتشرُّد جرّاء فقدان الوالدين معًا في إسرائيل، وتعكس الفقرة أيضًا عدم حرص الهيئة المعنيَّة بالتربية على الإشراف والتوجيه على التلاميذ الملتحقين بالمدارس في هذا الكيان؛ مما تسبب في استفحال ظاهرة المخدِّرات بينهم؛ ومن ثمَّ تدمير بنية المجتمع الذي كثيرًا ما تُروّج له الحركة الصهيونية بوصفها على أنه «مجتمع منسجم ومتماسك». والجدير بالذكر أن إسرائيل قد زخرت بالعديد من حالات إدمان المخدِّرات بين التلاميذ؛ ففي شهر يناير عام ٢٠٢٠ "أبلغ مسؤولو التعليم وآخرون شرطة «زڤولون» عن تلاميذ المدارس في مدينة «كريات آتا» الذين يتعاطون المخدِّرات ويدخِّنونها حتى في داخل المدرسة. وعقب ذلك، قامت الشرطة بمداهمة منازل عدد من التلاميذ في المدينة أسفرت عن إلقاء القبض على مُورِّد المخدِّرات، الذي تبين أيضًا أنه تلميذ في المدرسة الثانوية."[١]

يبدو أن الأمر لا يتوقف فقط – في الرواية ذاتها – عند إدمان اليهود الروس للمخدِّرات، وإنما يمتد أيضًا إلى قيامهم بتوريدها إلى غيرهم من اليهود في إسرائيل؛ فبعد أن أنهى «ڤيكتور» علاقاته مع الجندي «ڤاديك» اضطر أن يُعيدها من جديد، وظلَّ يلبي كل ما يطلبه «ڤاديك» من خدمات مقابل أن يحصل منه على قطع الحشيش؛ لكن هذه المرة لكي يجلبها إلى زميله الصبَّاري «نِمْرُود باخار»، الذي أُعْجَبَ بهذا النوع من المخدِّرات أثناء تعاطيهما سويًا بغرفة نومه:

---

[١] - מערכת ניוזים : "המשטרה פשטה על בתי תלמידים בקריית אתא, לאחר שדווח על תלמידים שמעשנים סמים בבתי הספר", חדשות, ניוזים, (16/1/2020):
https://newzim.co.il/zafon/?p=22793

"לאחרונה ניהל אף הוא יחסי גומלין עם החייל ובתמורה לשירותים זניחים כמו לרוץ לקנות סיגריות קיבל בופים קטנים וריחניים של חשיש לבנוני. הוא עשה זאת למען נמרוד בלבד: אחרי שהתרברב בפני חברו על הרפתקאותיו הנרקוטיות, דרש זה לנסות את הסם בעצמו ולמרבה הפלא – התאהב. החשיש הפך אותו לטוב לבב, עצל ומבודח. בכל פעם שוויקטור סירב לקחת שאיפה נוספת מהסיגריה שלו, היה נמרוד מושך בכתפיו ופולט סדרת שיעולים חנוקה של מקצוען. בעקבות אותה התפתחות בלתי צפויה נאלץ ויקטור לחדש את קשריו עם החייל."[1]

"كما أَدَارَ مُؤَخَّرًا عَلاَقَاتٍ مُتَبَادَلَةً مع الجُنْدِيِّ؛ إذ كان يَحْصُلُ على قِطَعٍ صَغِيرَةٍ وذَاتِ رَائِحَةٍ نَافِذَةٍ من الحَشِيشِ اللُّبْنَانِيِّ مُقَابِلَ خِدْمَاتٍ تَافِهَةٍ مِثْلَ أَنْ يَرْكُضَ لِشِرَاءِ سَجائِرٍ. وقد فَعَلَ ذلك مِنْ أَجْلِ نِمْرُودٍ فقط: بَعْدَ أَنْ كان يَتَفَاخَرُ أَمَامَ صَدِيقِهِ بِمُغَامَرَاتِهِ مع المُخَدِّرَاتِ، طَلَبَ أَنْ يُجَرِّبَ المُخَدِّرَ بِنَفْسِهِ، وبِشَكْلٍ مُدْهِشٍ – وَقَعَ فِي حُبِّهِ. لقد جَعَلَهُ الحَشِيشُ لَطِيفًا وكَسولًا ومُبْتَهِجًا. وكُلَّمَا رَفَضَ ڤيكتور أَنْ يَأْخُذَ نَفَسًا آخَرَ من سِيجَارَتِهِ، كان نِمْرُودٌ يَهُزُّ كَتِفَيْهِ اِسْتِهْجَانًا، ويُطْلِقُ سِلْسِلَةَ سُعَالٍ خَانِقَةً من مُحْتَرِفٍ. وبعد هذا التَّطَوُّرِ غَيْرِ المُتَوَقَّعِ، اِضْطُرَّ ڤيكتور أَنْ يَسْتَأْنِفَ عَلاَقَاتِهِ مع الجُنْدِيّ."

تكشف هذه الفقرة عن مدى تأثير المهاجرين الروس في انتشار ظاهرة إدمان المخدِّرات بين معظم الشباب اليهود في إسرائيل؛ إذ يلعب «ڤيكتور» هنا دورًا كبيرًا في اِنقياد زميله «نِمْرُود» إلى الإدمان، ظنًا منه أن محاولاته تلك ستساعد على توطيد الصداقة بينهما؛ ومن ثمَّ تحقيق الاندماج الذي يبحث عنه، كأي مهاجرٍ في كيانٍ جديد، إلا أن هذا الاندماج لم يكتب له النجاح في النهاية؛ فقد افتضح أمرهما أمام

[1]- קמחי, אלונה: שם, עמ' 236.

والدي صديقه عندما رأياهما على حين غرَّة بينما كانا يتعاطيان الحشيش ليقرِّر بعدها الأب قطع صلتهما ببعضهما البعض، لا سيما وأن «ڤيكتور» صار في نظر الوالدين عنصرًا فاسدًا يجلب الضرر لابنهما، ويوقِعُهُ في شَرَك الإدمان، وهذا ما يعكسه المشهد الآتي الذي جمع بين هذين الفتيين – عقب انكشاف فضيحة تعاطيهما الحشيش – وطلب فيه «ڤيكتور» من «نِمْرُود» أن يلتقي بوالديه؛ لكي يحاول أن يبرِّر لهما ذلك الموقف المُخزي حتى يُسامحانه:

**"«אני רוצה להיפגש איתם. ואיתך יחד. לדבר.. »**

**«מה אתה יכול להגיד להם, ויקטור?»**

**«שזה היה ניסיון חד־פעמי, עם החשיש. מסקרנות. אנשים טועים. הם חייבים לסלוח.»**

**«אתה לא מבין שאין להם אפילו אזור במוח שמסוגל לקבל שימוש בסמים?» נמרוד צמצם את עיניו השקופות והביט בוויקטור כלא מאמין לאיוולת ששמע, «הם בוגרי תנועות נוער, שניהם! אמא אפילו לעשן התביישה עד גיל שלושים.. ויקטור, מבחינתם, אם לא הייתי מכיר אותך זה לא היה קורה.»"**[1]

"«أُرِيدُ أَنْ أُقَابِلَهُمَا. وأنا وأَنْتَ معًا. نَتَحَدَّثُ.. »

«ماذا يُمْكِنُكَ أَنْ تُخْبِرَهُمَا، يا ڤيكتور؟»

«بِأَنَّهَا كَانَتْ تَجْرِبَةً لِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ، مع الحَشِيشِ. بِدَافِعِ الفُضُولِ. فَالنَّاسُ يُخْطِئُونَ. ويَجِبُ أَنْ يُسَامِحَا.»

«أَلَا تُدْرِكُ أَنَّهُ لَيْسَ لَدَيْهِمَا أَدْنَى اِسْتِعْدَادٍ لِتَقَبُّلِ تَعَاطِي المُخَدِّرَاتِ؟» ضَيَّقَ نِمْرُودُ عَيْنَيْهِ الشَّفَّافَتَيْنِ، ونَظَرَ إلى ڤيكتور وكَأَنَّهُ لم يُصَدِّقْ الحَمَاقَةَ التي سَمِعَهَا، «إِنَّهُمَا خِرِّيجَا حَرَكَاتِ الشَّبِيبَةِ، كِلَاهُمَا! حتى وَالِدَتِي كَانَتْ تَخْجَلُ من أَنْ تُدَخِّنَ حتى

[1]- שם: עמ' 326- 327.

بَلَغَتْ الثَّلَاثِينَ من عُمَرِهَا.. وبِالنِّسْبَةِ لَهُما، يا ڤيكتور، لم يَكُنْ هذا ليَحْدُثَ إذا لم أَكُنْ أَعْرِفُكَ.»"

يشير السطر الأخير من هذا المشهد إلى اتِّهام الآخر اليهودي للمهاجرين الروس – ممثلاً في شخصية «ڤيكتور» – بأنهم السبب الرئيس في انتشار تعاطي المخدِّرات بين الشباب في إسرائيل؛ مما جعل نظرة «نِمْرُود» الصبَّاري تتغير سلبًا نحو «ڤيكتور» وكأنه لم يعد حقًا يرغب في مواصلة الصداقة معه طالما ستلحق الأذى به، مستشهدًا في الوقت ذاته بمواقف والديه التي تعبر عن رفضهما المطلق لظاهرة المخدِّرات الضَّارة بالمجتمع. لكن في واقع الأمر، تستشري هذه الظاهرة في كثير من المؤسسات في إسرائيل، وخاصةً مؤسسة الجيش؛ ففي شهر يونيو عام ٢٠١٨ ذكرت مجلة «كانابيس» الإسرائيلية، في تقريرٍ لها، أن "ما لا يقل عن ٥٤٪ من جنود الجيش الإسرائيلي قد دخَّنوا القُنَّب الهندي خلال العام الماضي، وأكثر من ٤٠٪ دخَّنوه في الشهر الماضي، وفقًا لنتائج مسح وبائي أجرته إدارة مكافحة المخدِّرات. وقام مراسل «يديعوت أحرونوت» بإجراء بحثٍ، واكتشف أن القُنَّب منتشر في الجيش اليوم أكثر من أي وقت مضى. وفي السنوات الأخيرة، بلغت نسبة تعاطي القُنَّب في إسرائيل أعلى مستوى لها على الإطلاق بين جميع الفئات السكانية والأُطُر المؤسسية، بما في ذلك بالطبع الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٢١ عامًا، والذين يخدمون في الجيش الإسرائيلي"[١]؛ الأمر الذي يؤدي بدوره إلى إثارة القلق والمخاوف في إسرائيل بشكلٍ عام؛ "لأن الخلل والاضطراب في الوضع النفسي، والصحي، والمعنوي لدى الشبيبة والناجمة عن الإدمان ستؤثر حتمًا على القدرات القتالية لأفراد الجيش."[٢]

[١]- מערכת מגזין קנאביס: "קנאביס בצה"ל: «כולם מעשנים – גם המפקדים»", חדשות וכתבות, בארץ, מגזין קנאביס, (22/6/2018): https://www.קנאביס.com/צהל-ירוק-כולם-מעשנים-קנאביס-גם-המפקדי/

[٢]- وفيق ابو حسين: مرجع سابق، ص ١٣٠.

تسلط رواية «ڤيكتور وماشا» الضوء على ظاهرة تفشي إدمان الحشيش في الجيش الإسرائيلي، وخاصةً بين الجنود اليهود ذوي الأصل الروسي، مثل الجندي «ڤاديك كراسْنير» الذي لاحظنا على مدار الفقرات السابقة أنه كان يقوم بإحضار قطع الحشيش إلى «ڤيكتور»، إلا أنه لم يكتف بذلك، بل يجرّ «ماشا» أيضًا إلى تعاطي هذا المخدِّر كما يبدو في المشهد الآتي:

**"הוא הושיט לה את הג'וינט במחווה פייסנית והיא הביטה סביב, נזהרת מעדים, אך הרחוב והמדשאות היו ריקים מאדם.**
**היא לקחה את הג'וינט המושט, שאפה ממנו, כלאה את העשן בריאותיה והשיבה את הג'וינט לחייל בלי לתת בו מבט.. הם גמרו לעשן וואדיק מיד החל לגלגל סיגריה נוספת.**
**«כל החשיש מגיע מלבנון חופשי־חופשי,» הודיע. «הסוג שאני הכי אוהב זה 'דובדבן'. החשיש פותח לך את הראש. בצבא כולם מעשנים. צה"ל זה צבא של חשישניקים. גם החיילות הכי יורמיות. גם האלופים. מי שאת רק רוצה.»"**[1]

"مَدَّ إليها لِفَافَةَ الحَشِيشِ في لَفْتَةٍ تَصَالُحِيَّةٍ، فَنَظَرَتْ حَوْلَهَا تَحَسُّبًا من أَنْ يَكونَ هناك شُهُودٌ، لَكِنَّ الشَّارِعَ والمُروجَ كَانَتْ خَالِيَةً مِنْ أَيِّ شَخْصٍ.
أَخَذَتْ لِفَافَةَ الحَشِيشِ المَمْدُودَةَ، وسَحَبَتْ منها نَفَسًا، وحَبَسَتْ الدُّخَانَ في رِئَتَيْهَا، وأَعَادَتْ اللِّفَافَةَ إلى الجُنْدِيِّ دُونَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ.. اِنْتَهَيَا من تَدْخِينِهَا، وبَدَأَ ڤاديك على الفَوْرِ في لَفِّ سِيجَارَةٍ أُخْرَى.
وأَعْلَنَ قَائِلاً: «كُلُّ الحَشِيشِ يَصِلُ من لُبْنَانِ مَجَّانًا. وأَكْثَرُ نَوْعٍ أُحِبُّهُ هو "الكَرَزُ". إِنَّ الحَشِيشَ يُنْعِشُكِ. والكُلُّ في الجَيْشِ يُدَخِّنُ. فالجَيْشُ الإِسْرَائِيلِيُّ هو جَيْشٌ من

[1]- קמחי, אלונה: שם, עמ' 219.

الحَشَّاشِينَ. حتى الجُنْدِيَّاتِ هُنَّ الأَكْثَرُ هَوَسًا. وكذلك اللِّوَاءَاتِ. وأَيُّ وَاحِدٍ تُرِيدِينَهُ.»"

يتضح من خلال سلوك «قاديك» في المشهد هنا أن الكثير من اليهود المجنَّدين، لا سيما المنحدرين من روسيا، يستغلون خدمتهم في الجيش الإسرائيلي لغرض الحصول على المخدِّرات، خاصةً الحشيش؛ من أجل تعاطيها وترويجها، فضلاً عن أن هذا المشهد يؤكد على الحقيقة التي أوردناها أعلاه وهي أن المخدِّرات يتم استخدامها على نطاق واسع في الجيش الإسرائيلي، سواء بين الجنود وبعضهم، أو حتى بين القادة العسكريين، ونذكر في هذا الصدد شهادة أحد الجنود الإسرائيليين في عام ٢٠١٨ حول تفشي تدخين الحشيش في وحدته العسكرية التي يتبعها قائلاً: "«يعلم قادتي أنني أدخِّن. فالقادة يدخِّنون أيضًا، والطاقم يدخِّن، ونائب رقيب الفصيلة يدخِّن، ورقيب الفصيلة يدخِّن، والكل يدخِّن.. ربما قائد السرية لا يدخِّن لكنه يعلم كل الجنود الذين يدخِّنون.»"[١]؛ مما يدل على تفاقم هذه الظاهرة السلبية في الجيش الإسرائيلي.

**(ب) إدمان يهود روسيا للكحوليات:**

إن إدمان الكحوليات أو المشروبات الكحولية لا يقل خطورة عن إدمان تعاطي المخدِّرات؛ فالإسراف في احتسائها تسبب أضرارًا بالغةً للفرد، والأسرة، والمجتمع من كل النواحي. وقد لاقت الكحوليات رواجًا كبيرًا بين العديد من اليهود في إسرائيل، وخاصة بين المراهقين، ووفقًا للدراسة التي نشرها مركز الأبحاث والمعلومات التابع للكنيست في عام ٢٠١٤ "فإن نسبة استهلاك الكحول بين المراهقين في إسرائيل تتراوح بين ٥٠٪ إلى ٦٠٪"[٢]؛ مما يؤدي بهم إلى الوقوع في مشكلات جَمَّة: صحية، وسلوكية، وأسرية، واجتماعية، ومالية.. إلخ. ويعتبر المهاجرون الروس من أكثر

---

[١]- מערכת מגזין קנאביס: שם.

[٢]- שי, אילן: "60% מבני הנוער צורכים אלכוהול", הכי אחי!, (24/6/2014): https://yudbetfive.wordpress.com/2014/06/24/60-אלכוהול-צורכים-הנוער-מבני/

الجماعات اليهودية التي يميل أفرادها إلى الإفراط في استهلاك الكحوليات؛ إذ أشارت المُعطيات ذاتها التي نشرتها أقسام الخدمات الاجتماعية التابعة للسلطات المحلية الإسرائيلية في عام ٢٠١٣ إلى أن ثاني أعلى معدل للأشخاص المتضرِّرين من الإدمان على الكحول في إسرائيل وُجد بين المهاجرين الروس (٢ لكل ألف نسمة)، ويمكن الافتراض أن ارتفاع معدل إدمان الكحول بين هؤلاء المهاجرين له علاقة بأزمة الهجرة، وأن الشرب هو نوع من آلية الحماية ضد صعوبات الاستيعاب. بالإضافة إلى ذلك، قد يكون تعبيرًا عن الرموز الثقافية وعادات الشرب التي كانت شائعة في بلدهم الأصلي.[١]

من هنا نجد في رواية «ڤيكتور وماشا» أن ظاهرة إدمان الكحوليات مُتفشِّيةً بين المراهقين الروس بشكلٍ جليٍّ في إسرائيل؛ حيث يُسرف الكثير منهم في شرب الخمر حتى الثُّمالة؛ لكي ينسوا معاناتهم من مأساةٍ ما، أو ألمٍ نفسي قد تعرَّضوا له من قبل أقرانهم في مدرستهم؛ فبعد الصفعة التي تلقتها «ماشا» على وجهها من «ميخا»، ثم رؤيتها عدم دفاع أي من زملائها المتواجدين عنها، فكرت في كل الحلول التي من الممكن أن تجعلها تنسى هذه الإهانة، إلا أنها لم تجد سوى اللجوء إلى السُّكْرُ باحتساء أحد المشرويات الكحولية التي تغيب الإدراك والعقل، وهو الڤودكا:

**"לשווא חיפשה בתוכה ולוּ מחשבה מנחמת אחת. אני צריכה להשתכר, חשבה לפתע, כאילו היה זה הפתרון הטבעי, המתבקש. להשתכר. זה מה שאני צריכה.**

**היא הלכה במהירות עד שהגיעה למכולת של שמעון במרכז המסחרי, והחליקה אל תוך האפלולית. למזלה הייתה החנות ריקה מלקוחות והיא ביקשה בקבוק וודקה.. היא לגמה לגימה גדולה מהנוזל הפושר. הטעם היה מבחיל והיא עצרה את נשימתה והמתינה עד שיירגע הדחף**

[١]- לעיין: פלורנטין, איריס ואחרים: שם, עמ' 441.

להקיא. כעבור שתי לגימות נוספות הגועל שכך והיא לגמה שוב ושוב, לאט, מקשיבה להמיית היונים.. היא השליכה את הבקבוק הריק למחצה, מחשבתה הסתחררה לרגע אך היא מיד התעשתה והלכה בצעד מתון הביתה."[1]

"بَحَثَتْ عَبَثًا في دَاخِلِهَا وَلَوْ عن فِكْرَةٍ وَاحِدَةٍ مُرِيحَةٍ. فَكَّرَتْ فَجْأَةً، أنا بِحَاجَةٍ إلى أَنْ أَسْكَرَ، كما لو كان هذا هو الحَلُّ الطَّبِيعِيُّ المَطْلُوبُ. السُّكْرُ. هذا ما أَحْتَاجُهُ. مَشَتْ بِسُرْعَةٍ حتى وَصَلَتْ إلى مَحَلِّ بِقالَةِ شِمْعُون في المَرْكَزِ التِّجَارِيِّ، وانْزَلَقَتْ في الظَّلَامِ. لِحُسْنِ حَظِّهَا، كان المَحَلُّ خَالِيًا من الزَّبائِنِ، وطَلَبَتْ زُجَاجَةَ فُودْكا.. اِحْتَسَتْ كَمِّيَّةً كَبِيرَةً من السَّائِلِ الفَاتِرِ. كان طَعْمُهُ مُقَزِّزًا، فَحَبَسَتْ أَنْفَاسَهَا، وانْتَظَرَتْ حتَّى تَهْدَأَ رَغْبَتُهَا في التَّقَيُّؤِ. وبَعْدَ رَشْفَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ هَدَأَ شُعُورُهَا بِالغَثَيَانِ، ووَاصَلَتْ الاِحْتِسَاءَ مِرَارًا وتَكْرَارًا، مُسْتَمِعَةً، بِبُطْءٍ، إلى هَدِيلِ الحَمَامِ.. أَلْقَتْ الزُّجَاجَةَ وهي شِبْهُ فَارِغَةٍ، واِكْتَنَفَ عَقْلَهَا دُوارٌ لِلَحْظَةٍ، لَكِنَّهَا تَمَاسَكَتْ نَفْسَهَا على الفَوْرِ، ومَشَتْ إلى المَنْزِلِ بِخُطْوَةٍ مُعْتَدِلَةٍ."

تؤكد هذه الفقرة على أن شرب الخمر هو ظاهرة منتشرة بين اليهود في إسرائيل، بل يُسمح فيها بتصنيع منتجات الكحوليات كافة، وتسويقها، وبيعها عبر محلات البقالة. ويتضح أيضًا أن أغلب من يتردد على شرائها واحتسائها هم اليهود الروس، ممثلاً في الفتاة «ماشا»، لا سيما هنا بعد أن أصابها اليأس والانكسار؛ نتيجة عدم قدرتها في النهاية على الاندماج مع زملائها في المعهد، ويصبح الحل الدائم الوحيد لها هو تعاطيها الكحول. والجدير بالذكر أنه نتيجة لتفاقم الإدمان على الكحول في إسرائيل؛ وما ترتب عليه من وقوع المزيد من الجرائم وحوادث الطرق، صادق الكنيست الإسرائيلي في عام ٢٠١٠ "على قانون يحظر بيع المشروبات الكحولية المُسْكِرة في المحلات من الساعة الحادية عشرة مساءً حتى السادسة صباحًا. وصوّت ٣٨ عضو

[1]- קמחי, אלונה: שם, עמ' 100-99, 102.

كنيست لصالح القانون دون أن يعارضه أحد، وينطبق الحظر على المتاجر والمحلات في محطات الوقود، والأكشاك، ومحلات السوق المركزي. ومع ذلك، لا ينطبق على المطاعم والحانات"[١]، فضلاً عن أن هذا القانون لن يؤدي بدوره إلى محو ظاهرة إدمان الكحوليات واقتلاعها من جذورها؛ لأنه لم يمنع استهلاكها منعًا باتًا وبشكلٍ مطلق، وإنما تضمن تقليصًا محدودًا لساعات حظر بيعها؛ ومن ثمَّ تظل مشكلة الإدمان عليها قائمة في هذا الكيان.

في موضعٍ آخر من رواية «ڤيكتور وماشا» ينتشر الإقبال على تعاطي المشروبات الكحولية بين المراهقين الروس في إسرائيل؛ بدافع تحسين حالتهم المزاجية التي كثيرًا ما تتّسم بالشعور بالاكتئاب، والحزن، وفقدان الاهتمام، خاصةً بعد تعرّضهم لمرارة اليُتم وعذابات الضّياع؛ فبالإضافة إلى إدمان «ماشا» للكحول، ينخرط شقيقها الصغير «ڤيكتور» في شربٍ مفرط للخمور بأنواعها المختلفة مثل البيرة، والعَرَقَ، والڤودكا، والبراندي، واللِيكْيُور، والوِيسْكي:

**"הוא אהב את ריחה ואת טעמה של הבירה, שתה ערק בלי למהול אותו במים כמקובל, יכול היה ללגום בבת אחת חצי כוס וודקה זולה ופושרת, אהב אהבה אמיתית ברנדי סטוק 84 והתענג על המתיקות המבחילה של ליקר שוקולד. פעם אפילו השתכר כלוט מוויסקי, משקה יקר ולא מוכר בסביבתו, שמצא בארון המשקאות של נתנאל ואהרונה ושגמע היישר מהבקבוק, בלגימות קטנות כמו ליקוקים."[٢]**

"كان يُحِبُّ رَائِحَةَ البِيرَةِ وطَعْمَهَا، ويَحْتَسِي العَرَقَ دُونَ تَخْفِيفِهِ بِالمَاءِ كَالْمُعْتَادِ، كان يُمْكِنُهُ أَنْ يَحْتَسِيَ نِصْفَ كُوبٍ من الڤُودْكا الرَّخِيصَةِ والفَاتِرَةِ دُفْعَةً وَاحِدَةً،

---

[١]- וולף, פנחס ואורי ערן: "הכנסת אישרה: אסור למכור אלכוהול בלילה", חדשות בארץ, וואלה! חדשות, (21/7/2010):
https://news.walla.co.il/item/1712830

[٢]- קמחי, אלונה: שם, עמ' 150.

وكان يُحِبُّ برانْدي ستوك ٨٤ حُبًّا حَقِيقِيًّا، ويَسْتَمْتِعُ بِحَلَاوَةِ لِيكْيُور الشُّوكُولَاتَةِ المُقَزِّزَةِ. حَتَّى أَنَّهُ ذَاتُ مَرَّةٍ ثَمِلَ لِلغَايَةِ من الوِيسْكي، وهو مَشْرُوبٌ كان بَاهِظَ الثَّمَنِ وغَيْرَ مَعْرُوفٍ في مِنْطَقَتِهِ، الذي وَجَدَهُ في خِزَانَةِ ناتانْئيل وأَهارُونا للمَشْرُوبَاتِ، واحْتَسَاهُ من الزُّجَاجَةِ مُبَاشِرَةً في رَشَفَاتٍ صَغِيرَةٍ أَشْبَهَتْ بِلَعْقَاتٍ."

تعبر هذه الفقرة عن مدى شعور المهاجر الروسي بالمتعة والسعادة عند تعاطيه الخمر، إلا أنه في الحقيقة هو شعور مؤقت وزائل؛ لأنه سرعان ما يعود إلى حزنٍ، وغضبٍ، واكتئابٍ بمجرد انتهاء مفعول المادة المُسْكِرة في الخمر. كما تشير الرواية في الفقرة ذاتها إلى اضطرار المهاجر الروسي البائس – الذي تجسِّده هنا شخصية «ڤيكتور» اللَّطيمة – للالتجاء إلى سلوكٍ منحرفٍ خاطىء مثل التدخين، أو تعاطي المخدِّرات، أو احتساء الخمر، أو غيرها من السلوكيات المنحلة أخلاقيًا؛ وذلك هروبًا من الواقع الأليم الذي صار يعيش فيه داخل إسرائيل. كذلك نلاحظ في السطرين الأخيرين من الفقرة اهتمام الكثير من العائلات اليهودية بتخصيص خزانات يتم فيها حفظ وتخزين قنِّينات الخمور؛ مما يدل على أن تعاطيها حد الثُّمالة يمثل عادة أوروبية سائدة ومسموح بها بين اليهود بصفةٍ عامة، والمهاجرين الروس بصفةٍ خاصة، في المستوطنات التي يعيشون فيها، وهو ما تؤكد عليه أيضًا رواية «جماعة الضائعين» في تطرقها للحديث عن عائلة «أيَالا» ذات الأصل الروسي، التي كان يعتاد أفرادها على احتساء الخمر – كجزء من وجبة الطعام – حتى الوصول إلى حالة السُّكْر التي قد تؤدي بأحدهم مثل والدها إلى فقدان وعيه:

**"המשפחה של איילה תמיד ישבה סביב השולחן, שהתפוצץ מאוכל ומאנשים, ואביה היה משתכר עד אובדן חושים ומגדף את אשתו שרק צחקה, דחפה אותו מעט ואמרה, «אתה שיכור.»."**[1]

[1]- גרויסמן, אולה: שם, עמ' 186.

"كَانَتْ عَائِلَةُ أيَالا تَجْلِسُ دَائِمًا حَوْلَ المَائِدَةِ، التي كَانَتْ تَنْفَجِرُ من الطَّعَامِ والنَّاسِ، وكان وَالِدُهَا يَتْمَلُ حَتَّى يُغْمَى عليه، ويَسُبُّ زَوْجَتَهُ التي كَانَتْ تَضْحَكُ لِلتَّوِّ، وتَدْفَعُهُ قَلِيلاً، وتَقُولُ: «أَنْتَ سَكْرَانٌ»."

وكثيرًا ما يلجأ اليهود الروس في إسرائيل إلى استهلاك الكحول عند إقدامهم على ممارسة فاحشة الزِّنا؛ ولذا أحضرت «ناتاشا» معها – في رواية «جماعة الضائعين» – قِنِّينَة الڤودكا عندما أرادت الذهاب إلى منزل «أُورْكِين» مساءً؛ من أجل ممارسة الرَّذيلة معه:

**"אבל בעשר בלילה התקשרה ושאלה אם היא יכולה לבוא. היא הביאה עמה בקבוק וודקה.. "**[1]

"ولَكِنْ في العَاشِرَةِ مَسَاءً اِتَّصَلَتْ به، وسَأَلَتْهُ إِذَا كان يُمْكِنُهَا المَجِيءُ. وأَحضَرَتْ مَعَهَا زُجَاجَةَ ڤودْكا.. "

وهكذا يتضح مما سبق أنه فضلاً عن إدمان يهود روسيا على المخِّدرات، فإن الكثيرين منهم، لا سيما المراهقين، يدمنون الكحوليات على أنواعها كافة في إسرائيل، من منطلق اعتبارهم أن ذلك هو السبيل الدائم الوحيد الذي يساهم في تخفيف معاناتهم النفسية والاجتماعية جرّاء تعرّضهم للإهانات من قبل غيرهم من اليهود، أو نتيجة وقوعهم في براثن اليُتم، والضّياع، وقسوة الحياة؛ الأمر الذي يؤكِّد فشل المؤسسات الإسرئيلية في استيعاب المهاجرين الجدد؛ بل يكون فشلها السبب الرئيس في انحرافهم أخلاقيًا ومعاناتهم المُستَفْحِلة في الكيان ذاته. لكن هذا لا ينفي أبدًا حقيقة أن إدمان اليهود عامة، والروس منهم خاصةً، على تعاطي المخِّدرات والكحوليات يمثِّل جزءًا أصيلاً من الثقافة الأوروبية المنحلَّة التي نشأوا وترعرعوا عليها.

---

[1]- שם : עמ' 149-148.

## خاتمة:

- أبرزت الدراسة من خلال الرواية العبرية المعاصرة – محل الدراسة – أن معظم يهود روسيا يقترفون العديد من المظاهر السلوكية المنحرفة أخلاقيًا في المجتمع الإسرائيلي، ومنها ارتكابهم للزِّنا، وامتهانهم للدَّعارة. ولا ريب أن المجتمع الإسرائيلي يلعب دورًا رئيسًا في شيوع مثل هذه المظاهر في أوساط مجتمعات المهاجرين الروس – بدلاً من العمل على القضاء عليها – وذلك بنظرته السلبية تجاه المهاجرين الروس، وبما يستشري داخل المجتمع الإسرائيلي ذاته من مظاهر الانحلال الأخلاقي، وبتخلي المؤسسات الإسرائيلية عن تقديم دعم حقيقي لليهود الروس؛ من أجل مجابهة الضغوط الاقتصادية الطاحنة التي واجهوها بعد وصولهم إلى إسرائيل، رغم أن خطط استيعاب اليهود الروس كانت أفضل بكثير مما حدث مع المهاجرين اليهود السِفارادييين؛ ومن ثمَّ "يتضح أن المجتمع الإسرائيلي لم يكن بأي حال من الأحوال «بوتقة صهر – כור היתוך» كما يزعم دعاة الفكر الصهيوني، بل تحول المجتمع الإسرائيلي إلى «بوتقة قهر – כור קיפוח» ثقافي واجتماعي"[1] خاصة للمهاجرين الجدد.

- كشفت الدراسة عن أن الكثيرين من يهود روسيا يرتكبون أيضًا عمليات مشبوهة وإجرامية تمسّ الجانب الاقتصادي والاجتماعي في إسرائيل، ومن العجيب في تلك الظاهرة جنوح الأحداث من المهاجرين الروس إلى ارتكاب الجرائم، لا سيما قيامهم بالنشل والسرقة من المؤسسات والمحلَّات التجارية، والكيبوتسات؛ بدافع الرغبة في إشباع حاجاتهم، التي صاروا يفتقدونها في هذا

[1]- أحمد الشحات هيكل: يهود المغرب في الأدب العبري الحديث وأوهام الخلاص الزائف، سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية، العدد ٢١، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٦٧.

الكيان الجديد، فضلاً عن أن المجنَّدين الروس في الجيش الإسرائيلي يندفعون نحو سرقة الأسلحة والذخيرة من مستودعات الجيش؛ بقصد بيعها وتحقيق أرباح مالية وثراء سريع منها، زِد على ذلك غسيل الأموال غير المشروعة وغيرها من العمليات الإجرامية التي تمارسها عصابات المافيا الروسية داخل إسرائيل؛ الأمر الذي يعكس برُمَّتِه مساهمة معظم المهاجرين الروس في انتشار الجريمة بأنواعها كافة في المجتمع الإسرائيلي، بل يؤكد فشل المجتمع ذاته في استيعاب هؤلاء المهاجرين وتأسيس «وطن مثالي» لهم؛ ومن ثمَّ فشل الفكرة الصهيونية؛ فالمجتمع الإسرائيلي يكتظ بالعديد من الأمراض الاجتماعية، والفساد السياسي والاقتصادي؛ لأنه ببساطة مجتمع غاصب للأرض وللتاريخ، وسافك للدماء البريئة.

- أظهرت الدراسة من خلال الرواية العبرية المعاصرة – محل الدراسة – أن إدمان المخدِّرات والكحوليات هي آفة خطيرة تستفحل بين قطاع عريض من اليهود في المجتمع الإسرائيلي بكل مؤسساته، وخاصةً بين الأحداث والشباب المهاجرين من روسيا، الذين سواء كانوا تلاميذًا في مدرسة أو جنودًا في الجيش يسلكون كل السبل المتاحة للوصول إلى مخدِّر الحشيش وتعاطيه، معتبرين أن ذلك هو الحل الوحيد الذي يمكّنهم من نسيان الشعور بالضَّياع أو الألم، لا سيما عندما يفتقدون الرعاية، والاهتمام، والاحتواء في هذا الكيان الجديد؛ ومن ثمَّ يتمادون في تعاطي المخدِّر حتى الإدمان عليه، ليس هذا فقط، بل يرتكبون ترويجه بين بعضهم البعض، وبينهم وبين غيرهم من اليهود؛ الأمر الذي يؤدي بدوره إلى اِستشراء هذه الأزمة على جميع المستويات في إسرائيل.

- أثبتت الدراسة أن مساهمة المهاجرين الروس في تفاقم الأمراض الاجتماعية مثل الدَّعارة، والإجرام، والإدمان داخل المجتمع الإسرائيلي، كانت بمثابة رد فعل طبيعي لفشل استيعابهم من قبل المجتمع ذاته، الذي اتضح أنه يميل دائمًا إلى وصف الجماعات المهاجرة بصورٍ نمطية سلبية تلازمهم في العقود الأولى من هجرتهم، وتُطاردهم، وتكون عائقًا أمام سهولة اندماجهم، كما حدث مع يهود اليمن، ويهود المغرب، ويهود الفلاشا، وأخيرًا وليس آخرًا مع يهود روسيا.

# قائمة المصادر والمراجع

## أولاً: باللغة العربية:

**الكتب:**


- أحمد الشحات هيكل: يهود المغرب تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد ٣٥، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٧.
- .....: يهود المغرب في الأدب العبري الحديث وأوهام الخلاص الزائف، سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية، العدد ٢١، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٧.
- باسل يوسف النيرب: المرأة في إسرائيل، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٦.
- باسمة محمد حامد: المرأة في إسرائيل بين السياسة والدين، تقديم: ظافر بن خضراء، دار كنعان، دمشق، ٢٠٠٥.
- خالد سعيد: المهاجرون الروس قادمون.. إسرائيل إلى أين؟!، مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية، بيروت، ٢٠١٤.
- خالد مصطفى هشام: الجريمة، دراسة مقارنة بين الشريعتين اليهودية والإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن – فرجينيا، ٢٠٠٧.
- رشاد عبد الله الشامي: الوصايا العشر في اليهودية، دراسة مقارنة في المسيحية والإسلام، دار الزهراء، القاهرة، ١٩٩٣.
- عدنان أبو عامر: ثغرات في جدار الجيش الإسرائيلي، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ٢٠٠٩.
- عبد الوهاب المسيري: اليد الخفية، دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية، ط٢، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١.
- كرم فواز الجباعي: المجتمع الإسرائيلي، حقائق ودلالات، المنارة للنشر، بيروت، ٢٠٠٠.

- محمد أحمد صالح: هجرة اليهود الروس إلى إسرائيل، أبعادها وأخطارها علي الأمن القومي العربي، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، أبو ظبي، ٢٠٠٢.
- محمد خليفة حسن أحمد: ظاهرة النبوّة الإسرائيلية، طبيعتها – تاريخها – الموقف الإسلامي منها، سلسلة الدراسات الدينية، العدد ١، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٩١.
- وفيق ابو حسين: الجريمة في إسرائيل، دراسة سيكولوجية لظاهرة الإجرام داخل التجمع الصهيوني، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت، ١٩٨٢.

**الموسوعات والمعاجم:**

- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، المجلد الخامس، اليهودية، المفاهيم والفرق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩.

**المقالات:**

- أحمد كامل راوي: "تجربة الكيبوتس لدى اليهودي الشرقي في رواية «ديك الفداء» لإيلي عامير"، مجلة الدراسات الشرقية، العدد التاسع والعشرون، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة، يوليو ٢٠٠٢، (ص ص ٢٥١ – ٣٠٦).
- آمال شحادة: "أسلحة الجيش الإسرائيلي يبيعها جنوده... وصواريخ «لاو» فُقدت في الجولان"، فلسطين اليوم، نشرة إخبارية يومية تعني بالشأن الفلسطيني، العدد ٩١٧، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٧، (ص ص ٣١ – ٣٤)
- عبده رمضان كامل: "صورة مدينة تل أبيب وعلاقتها بالموروث اليهودي، دراسة في رواية «مدينة سدوم» لـ «تومير جانيهار»"، مجلة الدراسات الشرقية، العدد السابع والخمسون، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة، يوليو ٢٠١٦، (ص ص ٢٨٩ – ٣٥٤).

- مرزوق أمال وبن زراع حياة: "الجريمة الاقتصادية في العالم الافتراضي، جريمة غسيل الأموال باستخدام العملات الافتراضية"، مجلة كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة الشاذلي بن جديد، الطارف، ١٩ فبراير ٢٠١٩، (ص ص ١ – ١٤).

## ثانياً: باللغة العبرية:

### <u>המקורות:</u>

- גרויסמן, אולה: קהילת האבודים, הוצאת ידיעות ספרים - משכל, תל אביב, 2014.
- קמחי, אלונה: ויקטור ומאשה, הוצאת כתר ספרים, ירושלים, 2012.

### <u>הספרים:</u>

- גלילי, לילי ורומן ברונפמן: המיליון ששינה את המזרח התיכון, העלייה הסובייטית לישראל, הוצאת מטר, תל אביב, 2013.
- זוסמן, נעם ואחרים: ממדי הפשיעה בישראל בשנים 1990-2010, הוצאת המכון הישראלי לדמוקרטיה, ירושלים, 2016.
- פלורנטין, איריס ואחרים: "חלק א': אוכלוסיית המתמכרים לסמים, לאלכוהול ולהימורים", בגירים במצוקה קשה ובמצבי משבר, סקירת השירותים החברתיים 2014, הוצאת משרד העבודה, הרווחה והשירותים החברתיים, ירושלים, אוקטובר 2015.
- קמיר, אורית: כבוד אדם וחוה, פמיניזם ישראלי, משפטי וחברתי, הדפסה שניה, הוצאת כרמל, ירושלים, 2008.

### <u>אתרי האינטרנט:</u>

- בוחבוט, אמיר: "חרף מאמצי צה"ל: 422 כלי נשק נגנבו בחמש שנים", צבא וביטחון, וואלה! חדשות, (28/5/2014):
https://news.walla.co.il/item/2750770

- ברקן, נעם : "מקוקאין עד סקס : נתוני ההתמכרויות בישראל נחשפים", בריאות ואיכות חיים, ynet, (31/10/2018):
https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-5384748,00.html

- גולדשלגר, יוסף גלרון : אולה גרויסמן, לקסיקון הספרות העברית החדשה, (6/1/2019) :
https://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/01828.php

- ..... : אלונה קמחי, לקסיקון הספרות העברית החדשה, (30/11/2018) :
https://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/00225.php

- העדכון החצי שנתי של קללות וסלנג, ynet, (5/9/2002) :
https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-2066534,00.html

- וולף, פנחס ואורי ערן : "הכנסת אישרה : אסור למכור אלכוהול בלילה", חדשות בארץ, וואלה! חדשות, (21/7/2010) :
https://news.walla.co.il/item/1712830

- מערכת מגזין קנאביס : "קנאביס בצה"ל : «כולם מעשנים – גם המפקדים»", חדשות וכתבות, בארץ, מגזין קנאביס, (22/6/2018) :
https://www.קנאביס.com/מפקדי-גם-קנאביס-מעשנים-כולם-ירוק-/צהל

- מערכת ניוזים : "המשטרה פשטה על בתי תלמידים בקריית אתא, לאחר שדווח על תלמידים שמעשנים סמים בבתי הספר", חדשות, ניוזים, (16/1/2020) :
https://newzim.co.il/zafon/?p=22793

- נחושתאי, אפרת : "הצד האפל של המיתון, עלייה בשיעור הגניבות", חינוך וחברה, הארץ, (8/7/2008) :
https://www.haaretz.co.il/news/education/1.1276731

- שי, אילן : "60% מבני הנוער צורכים אלכוהול", הכי אחי!, (24/6/2014) :
https://yudbetfive.wordpress.com/2014/06/24/60-אלכוהול-צורכים-הנוער-/מבני

## ثالثاً: باللغة الإنجليزية:

## THE BOOKS:

- Mendelson-Maoz, Adia: Multiculturalism in Israel, Literary Perspectives, Purdue University Press, Indiana, 2014.
- Zemtsov, Ilya: Encyclopedia of Soviet life, Transaction Publishers, New Brunswick, 1991.